الرحلة الداخلية

(سلسة النهضة الروحية)

الرحلة الداخلية

(سلسلة النهضة الروحية)

أوشو

ترجمة: جلال أبو رايد

الرحلة الداخلية

تأليف: أوشو

سنة الطباعة: 2013

عدد النسخ: 1000 نسخة.

الترقيم الدولي: ISBN 978-9933-22-026-6

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

00963 11 5637060

تلفاكس: 00963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

www.darrislan.com

الجسد

لكل مساره ولكل رحلته الخاصة في هذه الحياة؛ يبدأ المحب العادي رحلته و يمضي بها وفق ما يريد، يتجه المفكر و الباحث نحو ما يحلو له فيما يخص بداية رحلته، أما بالنسبة للمريد أو المتأمل فله رحلة مختلفة تماماً عليه أن يمضي بها...

من أين تبدأ رحلة المتأمل والمريد، وما هي أول خطوة فيها؟

قد نختلف بالعواطف والأحاسيس، وهذا أمر طبيعي لأن العواطف والمشاعر تولد في كل منا وفقاً لظروف حياته، أسلوب عيشه ومدى رقيه النفسي والروحي... كما أننا قد نختلف بالميول والقدرات العلمية والتفكيرية لأنها تنشأ في أحدنا وفقاً لبيئته الاجتماعية والأسرية بشكل خاص ... ولكن ما هو القاسم المشترك الذي نمتلكه جميعاً؟ ما هو الشيء الذي نمتلكه جميعاً، ووحدنا من نمتلك حرية و قدرة التعامل معه؟ وما هو العنصر الأهم في حياتنا الحالية وفي الفترة الحالية من تاريخنا الإنساني ؟ إنه الجسد الذي لم نفكر و لم نحاول أن نمنحه حقه المستحق الطبيعي، فكان ولايزال عرضة لابتذالنا ولحماقاتنا، فبيننا لم يختبر من الحياة سوى لذة الطعام، الشراب و ارتداء الملابس الجميلة فأبلى جسده

بعبثيته، جهله وضعفه... لقد فقد أجمل قيثارة يمكن أن يحلم بامتلاكها.

هل يستطيع الموسيقي البارع أن يطربنا بألحانه وقيثارته محطمة؟ كيف يمكن للموسيقا الجميلة والألحان العذبة أن تنبعث من قيثارة منهكة، بالية و مبتذلة؟ القيثارة و الموسيقا شيئان مختلفان تماماً و لكن لا وجود للموسيقى دون قيثارة.

هناك من يعتقد جاهلاً أو منخدعاً بأنه يحسن صنعاً باتباعه لبعض العادات كاليوغا التجارية وأساليب التدين المنحرفة كالزهد الأعمى ونكران الذات وغيرها وهي في الحقيقة حركات إلى الشعوذة والشيطنة أقرب... وفيها أيضاً من إذلال الجسد و احتقاره الحظ الوفير.

من هذا الجسد يا أخوتي تبدأ رحلة التأمل والسفر الروحي ... من هذا الجسد الذي تعرض كما شاهدنا لنوعين مختلفين من الاحتقار والابتذال... أولهما الانغماس وثانيهما الزهد والنكران –للغرب طريقته التدميرية و للشرق طريقته المختلفة أيضاً -الذهاب إلى دور الدعارة و سواها من بيوت الضياع تدمير للجسد، العري الأحمق والغبي تحت الشمس المحرقة والاندفاع الأحمق إلى الشوارع و الغابات تدمير له أيضاً.

هناك حقيقة نسيناها و أغفلنا التأمل بها... نحن لسنا الجسد لكننا نسكن فيه ومنه ينبعث جمال موسيقا حياتنا ، الجسد شيء وموسيقا الحياة شيء آخر مختلف، ولكن من قيثارة الجسد وحدها نستطيع الحصول على موسيقا الحياة.

هناك حقيقة أخرى على المريد أن يلم بها و إلا لن يتمكن من المضي في رحلته الروحية... إذا أنا سألتك يا أخي « ما هو العضو الأهم في جسدك ؟» أو دعنا نسأل « ما هو الجزء الأهم في الشجرة أو في النبتة ؟ »

قد يكون السؤال الثاني أكثر سهولة لابتعاده عن الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفلسفية وستكون أجوبتنا بأن الثمار والورود هي الأجزاء الأهم في النباتات – قد تبدو كذلك لأنها تنمو في قمة النبات أو لأنها النتيجة النهائية لحياته، لكن الحقيقة ليست كذلك... لا الثمار ولا الورود هي الأجزاء الأهم في حياة النبات، الجذور غير المرئية هي العضو الأكثر أهمية وحيوية.

كتب أحدهم في مذكراته أنه كان قرب كوخ والدته حديقة فيها ورود فائقة الجمال حتى أنها كانت تجذب الزائرين من مسافات ليست بالقريبة، ومع الأيام تقدمت الوالدة في العمر وتعرضت لأحد الأمراض... لم تخشى المرأة الحكيمة المرض

ولم تأبه لتقدم السنوات بها، لكن كل ما كان يقلقها ما الذي سيحل بالحديقة... اندفع الغلام إلى حديقة والدته يرعاها ويعمل فيها من الصباح حتى المساء... وبعد شهر تقريباً تحسنت صحة الوالدة، وبالكاد استطاعت النهوض حتى جاءت إلى الحديقة تتفقدها... أصيبت الوالدة بالدهشة لما حل بورودها فقد جفت، ذبلت و بدأت بالتساقط، فقالت لولدها «لقد كنت هنا طيلة هذه المدة، ما الذي كنت تفعله و قد جفت النباتات و هي توشك على الموت ؟» بدأ الفتى بالبكاء، فقد اعتاد على العمل في الحديقة يومياً لكنها تدهورت لسبب لا يعرفه... كان يلاطف الورود و يحبها وكان ينظفها و يمسح عنها الغبار ظناً منه بأنه يعتني بها لكنها تابعت تدهورها، ضحكت الأم و قالت « ألم تعلم إلى الآن يا بني بأن حياة الورود لبست في الورود وأن حياة الأوراق ليست في الأوراق ؟»

تكمن حياة الأوراق و الزهور في مكان آخر؛ إنها في الجذور المخفية المتصلة بالأرض... فإذا أردت الاهتمام و العناية بورود و ثمار حديقتك عليك الاهتمام بتلك الجذور غير المرئية... لا يجديك نفعاً حب الورود والأزهار والعناية بها ولا يجديك نفعاً تنظيفها و مسح الغبار عنها، أما إذا نسيت كل شيء عن الورود و الثمار ووجهت اهتمامك إلى حيث يجب توجيهه؛ إلى

الجذور فستنمو الورود والثمار من تلقاء نفسها ولا حاجة بها لشيء آخر... تنمو الورود عند العناية بالجذور ولا يمكن العكس.

وبالمثل وجهت ثقافة الإنسان الشاذة جل اهتمامها نحو الرأس أو الدماغ بصفته العضو الأهم في الجسد الآدمي... أما الحقيقة فليست كذلك. ترتبط الروح بالجسد بواسطة عدة مراكز ومنها نحصل على طاقة الحياة اللازمة لحياتنا... فالروح إذاً شديدة الارتباط بأجسادنا و منها تنساب إلينا طاقة الحياة.

إذاً ما هو الجزء الأهم في جسدنا؟ سيجيب معظمنا ودون وعي منه بأن الرأس أو الدماغ هو كذلك، وقد تجيب المرأة بأن قلبها هو العضو الأهم وأخيراً هناك من سيجيب بأن المعدة أو الأعضاء الجنسية هي الأهم.

لا من أشار إلى الدماغ أصاب ولا من أشار إلى القلب أصاب، وبسبب أجوبة كهذه لا زال إنساننا يسير من سيء إلى أسوأ كل يوم... لا القلب و لا الدماغ هو العضو الأهم في جسدنا فكلاهما تطور متأخراً جداً.... ليست جذور الإنسان في الدماغ و لاهي في القلب.

نعم، كما للنباتات جذور تستمد غذاءها وطاقتها عبرها من الأرض لتبقى حية بذلك، للإنسان جذور في مكان ما يستمد

طاقة حياته من الروح عبرها ، و لولا تلك الجذور لما تمكن أحد من الاستمرار على قيد الحياة، وعندما تضعف هذه الجذور وتتراجع يبدأ الجسد بالأفول و الموت.

جذور النباتات في الأرض و جذور الإنسان في الروح... ولكن ما هي نقطة الاتصال بين الروح والجسد ؟ دون معرفة الإجابة على هذا السؤال لا يمنكن لأحدنا الدخول في عالم التأمل والشروع في رحلته الداخلية.

إذا كنا نجهل وجود جذور لنا فكيف لنا أن نعلم مكانها؟!... أين هي جذورنا التي نسيناها منذ آلاف الأعوام... يولد الطفل في رحم أمه و ينمو فيه، ولكن عبر أي الأعضاء يتصل بها؟ لا يتصل الجنين بوالدته عبر دماغه ولا عبر قلبه بل عبر سرته... يحصل الطفل على طاقة حياته عبر السرة، و بعد ذلك يتطور القلب و الدماغ.... يتصل الجنين بجسد والدته عبر السرة ومنها تمتد جذور حياته عبر جسدها كما تمتد الجذور بالجهة المعاكسة من الأم إلى الجنين لتضمن له الحياة.

الجزء الأهم في جسد الإنسان إذاً هو السرة، ثم يتطور بعد ذلك القلب ثم الدماغ، ما القلب ولا الدماغ سوى فروع تأتي متأخرة و تزهر ورود الإنسان عليها... تزهر على الدماغ ورود المعرفة وعلى القلب تزهر ورود الحب... تلك الورود هي التي تغرينا

وتجعلنا نظن بأنها كل شيء، لكن جذور الجسد و منابع طاقة حياته في السرة حيث لا توجد ورود.

لا تنمو ورود على الجذور الخفية لكننا وبسبب تركيز اهتمامنا على القلب والدماغ في الخمسة آلاف عام الماضية تقريباً - في الحقيقة هناك تركيز قليل على القلب و يتجه معظم التركيز إلى الدماغ -بدأت حياة إنسانية الإنسان تتراجع، تنحسر و تنحل.

يولد الطفل فينا فنبدأ بتلقينه المعرفة والثقافة العقلية القائمة على التمايز المادي مما دفع الدماغ للتطور الفائض عن الحاجة، هذا كله لأن زهور الحياة وثمارها الظاهرية تتفتح عليه... وبالطبع لا توجد أية معرفة ولا ثقافة ولا حتى أدنى اهتمام بالسرة وجذورنا الممتدة عبرها إلى الروح...

مع مر الأيام ازداد نمو الورود العقلية و بدأت الجذور الروحية بالضعف والتلاشي، وبالتالي طاقة حياة أقل تنساب إلينا من الروح الأم.

قد يكون السبب في هذا عدم قدرتنا على رؤية وتلمس الروح وغيرها من الموجودات الرقيقة وغير المادية، حيث تقتصر معرفة الغالبية الساحقة منا حول تلك الطبقات على ما تناقلته الأديان وكما نعلم تقوم أدياننا على الجبرية القدرية الأمر الذي أدى مع

الوقت إلى ظهور من يتساءل و يقول « أين هي الروح و هل هي موجودة؟ وأين هو اللّه ؟ فلا يمكننا أن نجد شيءً مهما بحثنا»
لقد أصُبنا بما أصاب الفتى الذي اعتنى بحديقة أمه لكن مصابنا من نوع أخطر... تتفتح ورود العقل و تزهر يوماً بعد يوم حتى أصبحت محور حياتنا لأنها ضمن قدرات حواسنا ولم نعد قادرين على المضي أبعد من ذلك.

إن ما أصابنا بحاجة لمعارف جديدة نكتسبها... إن رحلة المتأمل والمريد باتجاه تلك المعرفة - نحو الجذور في السرة -على المتأمل و المريد أن يسير هبوطاً من العقل إلى القلب ومنه إلى السرة ومنها فقط يستطيع بلوغ الروح.

لكن رحلتنا في هذا العالم هي في الاتجاه المعاكس، نغادر الجذور ونصعد إلى الورود العقلية... العقل وحده يا أخوتي غير قادر على قيادة الحياة إلى شواطئ الأمان بل على العكس قادر على قيادتها إلى الجنون.

هل لاحظت أنه كلما ازداد معدل التثقيف والتركيز على المعايير العقلية في الدول ازدادت نسبة الإصابة بالجنون فيها... لدى أمريكا أكبر نسبة من المصابين بالاختلالات العقلية الأمر الذي يثبت أنها الدولة الأكثر ثقافة وحضارة... يقول النفسانيون الأمريكيون إنه إذا استمر النظام التعليمي الحالي

لمئة عام أخرى سيصعب أن تجد في البلاد من تصفه بأنه سليم عقلياً، في الحقيقة ليس الأمر بحاجة لانتظار مئة عام فالحالة العقلية لثلاثة من كل أربعة أمريكيين ليست اليوم على ما يرام. يزداد عدد الأطباء النفسانيين في الولايات المتحدة باستمرار ويتناقص عدد الأطباء الماديين، ويقول الماديون أنفسهم بأن ثمانين بالمئة من أمراض الجسد ناتجة عن الفكر و العقل و لا علاقة للجسد بها، وتزداد هذه النسبة كلما ازدادت المعارف الطبية حيث كانت في البداية أربعين بالمئة ثم ارتفعت إلى خمسين ثم إلى ثمانين... ويؤكد أعلم علماء الإنسان اليوم أن تسعة وتسعين بالمئة من أمراض الجسد ناتجة عن العقل و الثقافة العقلية، أما إذا أردنا الاستفاضة والتدقيق والمضي في التفسير نرى أن العقل و ممارساته و ما يحدثه من خلل في القدر و سببية الحياة مسؤول عن مئة بالمئة تقريباً من كل ما يصيب الجسد وغيره من أمراض، آلام وحوادث... لقد احتملت عقولنا فوق طاقة احتمالها حتى أصيبت وأصابتنا معها بالجنون والضياع.

بعيداً عن الروح و تعقيداتها، دعنا ننظر إلى الدماغ ضمن بيئته المادية... نعلم جميعاً أن دماغنا ما هو إلا منظومة معقدة جداً من ملايين الخلايا العصبية الدقيقة، الهشة وسريعة العطب، فهل

تستطيع هذه الأجسام الضعيفة تحمل كامل أعباء أفكارنا ومسؤوليات حياتنا. لا يمكن لهذا الحمل الرهيب من الأفكار أن يقود لغير الجنون... بدأت طاقة حياتنا تتمركز حول الدماغ بوصفه عماداً للعالم المادي أو دعنا نسمه العالم الأدنى، وعلى المتأمل أن يمضي برحلته أعمق، أبعد و أعلى؛ عليه أن يعيد توجيه طاقة حياته نحو مركزيتها الحقيقية... نحو السرة.

كما رأينا ينظر معظمنا إلى جسده وفق إحدى وجهتي نظر... الانغماسية و الإسراف في ملذات المادة وحدها أو الزهد الجاهل الذي يفتقر لأدنى درجات المعرفة الحقيقية و التدين الحقيقي... في الحقيقة إن كلا هاتين النظرتين خاطئة ولكن علينا ألا نكتفي بالمشكلة و عرضها بل علينا التعرف على أسبابها وحلولها إذا أمكن...

هل يلام أحدنا على انغماسيته أو يهان بها؟ هل يكفي أن نشير لأحدهم بأنه قد أخطأ في تزهده الذي يعتقده تديناً و توحيداً؟

دعنا نتحدث باختصار عن كل منهما...

الجسد في حقيقته هو معبدك الوحيد والأوحد، ولست بحاجة لغيره في رحلتك الروحية الداخلية للبحث عن مركزيتك وجوهرك... هناك في الجهة المقابلة الروح الأم تشدك إليها بأقوى أنواع الجذب الطبيعي المتمثل بالطاقة الجنسية {راجع

كتاب « من الجنس إلى الضمير الكوني » للكاتب} ولما كان الجسد هو المقر الوحيد للجنس كان من الطبيعي أن يستحوذ على هذا القدر من الاهتمام.... منذ آلاف السنين أخذت نظرة الإنسان للجسد تتغير وفقاً لقوة كل إنسان العقلية، المعرفية، العضلية أو ما سميت بالروحية، وفقاً لذلك ظهر العالم الذكوري الذي تمثل بسيطرة الرجل مستغلاً تفوقه العضلي و العقلي... فبدأ الأقوياء بسن القوانين والتشريعات التي تضمن حق السيطرة على جسد المرأة و التغلب على طاقته الصاعدة المتوسعة، كما كان لتغطية الجسد بالثياب أثرها في توليد انجذاب منحرف نحو الجسد، و بسبب كل من الجهل و السيطرة تحول هذا الانجذاب إلى كبت جنسي شرس يسيطر على الإنسان عبر سلسلته غير المنتهية من الحيوات ما لم يتمكن من تجاوزه بالتأمل والنهضة الروحية... وبتأثير هذا الكبت بدأت وعن غير وعي تتطور لدينا بعض العادات السلوكية ومنه الاهتمام المفرط بالثياب، ومن جهة أخرى تسبب الكبت الجنسي بنشوء النظام الغذائي الحالي و الذي نجمع جميعاً بأنه منحرف، حيث يمكن لتناول الطعام أن يحقق إشباعاً مؤقتاً للرغبة الجنسية ذلك لأن الفم و الجنس قطبان لطاقة واحدة...

هذا ما ندعوه انغماسية، وما انتقادنا للانغماسيين في الحالة العامة سوى تعبير عن كبتنا و ضعفنا نحن، فعادة ما يكون الانغماسي أقوى من منتقده غير العارف، فعادة ما يلجأ الضعفاء للانتقاد للتعبير وعن غير وعي عن الضعف والعجز... ليست الانغماسية صحيحة و لا يجوز انتقاد ضحاياها اعتباطاً.

تبدأ الطريق الروحية كما بدأنا من الجسد ، لكن هناك أخوة لنا وقعوا ضحية الجهل من جهة وضحية من هم أقوى منهم ممن يسمون أنفسهم معلمين وشيوخ دين وعلماء... تبدأ الرحلة من الجسد بتعلم حب الصبر للوصول إلى جسد نظيف وذي طاقة عالية تكون زاداً له في تلك الرحلة، إلا أن الكبت الجنسي بدأ هنا يعبر عن نفسه بطريقة معاكسة للانغماسية كبت حاجات الجسد بالصيام غير العلمي أحياناً وبالرهبنة غير العلمية أحياناً أخرى وقد تصل أحياناً أخرى للإضرار بالجسد تطبيقاً لعادات موروثة.

تظهر هنا أهمية المعلم الصادق الأمين الذي يقود المريد في رحلته ... فمن لا معلم له فليتخذ الطبيعة الأم معلماً فهي المعلم الأول و الأخير لجميع المعلمين.

لا بد لنا في البداية من القبول بالجسد مسكناً و معبداً وقبل ذلك فنحن انغماسيون أو زاهدون وفي كلتا الحالتين نحن لسنا

على الطريق الصحيح والمتوازن، ذلك لأن الوصول إلى كل ما هو عظيم ونفيس في هذه الحياة يتم بالجسد و يمر من خلاله.

أخبر بوذا عن أمير شاب اعتاد قضاء وقته في اللهو والمرح... عرف كل أشكال التسلية واللهو بل كان يحيا لذلك فحسب... أراد فجأةً أن يصبح متديناً، دُهش الرهبان والمتدينون لهذا « إن من كان بالأمس أميراً لا يغادر قصره، لا يسير إلا على أفخر أنواع السجاد يريد اليوم أن يصبح زاهداً فقيراً، أي جنون هذا ؟!!!! »

إن الفكر كما يقول أوشو دائم التغير بين ذروتين ويواصل الحركة بينهما كرقاص الساعة تماماً لا يمكنه التوقف في المنتصف... هذا ما أصاب الأمير فقد عاش ذروة الانغماس ويريد للآن الانتقال إلى الذروة.

الأخرى وهي الزهد .... عندما يسير الرهبان في الطريق العامة العادية كان الأمير الذي لم يكن معتاداً سوى على السجاد الفاخر يسير في الطريق الداخلية المليئة بالأشواك، كان يجلس تحت الشمس عندما يجلس الرهبان في الظل وأخيراً بينما يأكل الرهبان مرة في اليوم كان يأكل يوماً و يصوم آخر.

بعد ستة أشهر وبعد أن تحول جسده إلى ما يشبه الهيكل العظمي ذهب إليه بوذا وقال له « سمعت أنك عندما كنت أميراً

كنت تجيد العزف على القيثارة؟» فقال الذي كان أميراً «كان يردد الناس بأنه لا يوجد من هو أبرع مني في هذا.»

فسأل بوذا « أيمكن أن تنبعث الموسيقا من القيثارة إذا كانت أوتارها رخوة؟ »

ضحك الذي كان أميراً وقال « يمكن لأي طفل أن يجيب بأن الأوتار الرخوة لا تصدر أصواتاً، أي نوع من الأسئلة هذا ؟ »

عاد بوذا وسأل « هل يمكن للموسيقا أن تنبعث إذا كانت أوتار القيثارة محكمة الشد أو مفرطة ؟ »

« عندما تكون الأوتار مفرطة الشد تنقطع فور لمسها ولا يمكن لأي نوع من الموسيقا الانبعاث. »

و أخيراً سأل بوذا « و متى تصدر الموسيقا إذاً ؟ »

« تنبعث الموسيقا عندما تكون الأوتار متوسطة الشد، لا هي رخوة و لا هي مفرطة... هناك نقطة متوسطة أو حالة توازن لا تنبعث الموسيقا الجميلة إلا عندها، و يختبر الموسيقي البارع مقدار شد أوتاره قبل أن يبدأ العزف ليتأكد من جاهزيتها ؟

وهنا قال بوذا « الآن أجبتني على ما أريد، إن ما قلته عن القيثارة ينطبق تماماً على قيثارة الحياة؛ أنت بارع بالعزف و أنا بارع وخبير بالعزف على قيثارة الحياة... لا يمكن أن تصدر موسيقا الحياة و أوتارها مفرطة الارتخاء أو مفرطة الشد. »

ولكن، أين هي قيثارة الحياة ؟ وهل نمتلك غير الجسد ما يمكن أن يسمى قيثارة ؟ الجسد هو قيثارتنا وعلينا الحفاظ على توازن الشد لأوتاره... ندخل موسيقا الحياة عندما نحافظ على أوتار أجسادنا متوازنة الشد... أن تدخل موسيقا الحياة يعني أن تتعرف على الروح و تبلغها.... عندما تتعرف على موسيقا الحياة الكائنة في الكلية وتذوب بها تدرك معنى الألوهية.

للدماغ أوتاره التي أفقدناها توازنها وأجبرناها على البقاء مفرطة الشد لأربع وعشرين ساعة في اليوم... أوتار أدمغتنا أكثر شداً من الحد الذي يسمح للموسيقا بالانبعاث منها، وإذا حاولنا لمسها لا يمكن لغير الجنون الانبعاث منها.... في الليل وأثناء النوم تكرر أدمغتنا كل ما نقوم به أثناء النهار، لا بل تكمل غير المكتمل منها، لذلك لا تخطئ وتعتقد أن دماغك يتوقف عن العمل و أنت نائم. ولقلوبنا أوتارها التي أجبرناها على الاسترخاء المفرط حتى أنها ليست مشدودة على الإطلاق... أتعرف شيئاً يسمى حباً ؟ نعرف الغضب و نعرف الحسد، نعرف الكراهية و نعرف الغيرة، ولكن هل نعرف الحب ؟ ربما نقول نعم، وربما نقول نحب أحياناً و نكره أخرى... لا يمكن للقلب المحب أن يكره ولا يمكن للقلب الكاره أن

يحب، إن قولك بأنك تحب أحياناً وتكره أخرى كوصف أحدهم بأنه حي أحياناً و ميت أخرى و بالطبع هذا مستحيل... إما أن يكون الإنسان حياً أو ميتاً وكذلك القلب إما محب أو غير محب.

جاء أحد المريدين إلى رابعة و تصفح مصحفها فوجد أن سطراً منه قد حذف أو مجموعة سطور... أيمكن لأحد أن يغير في الكتاب المقدس، وما بمقدور أحدنا أن يغير أو يحسن في القرآن العظيم.

فقال المريد « إن قدسية هذا الكتاب قد مُست ولم يعد مقدساً، فقد حذف منه سطر كامل. »

كانت الآيات المحذوفة عن كره و معاداة الشيطان فقال رابعة « منذ أن عرفت حب الله اختفى الكره من حياتي إلى الأبد، لم أعد أقوى إلا على حب كل ما يصادفني حتى لو كان شيطاناً، قبل أن أستطيع كره الشيطان يجب أن أملك في قلبي كراهية، وإلا من أين سأحصل عليها؟ » أتستطيع أن تحب شيطاناً؟ أتستطيع أن تكون مثل رابعة؟ أتستطيع أن تحب أعداءك و تبارك لاعنيك؟ أتستطيع أن تستغفر لقومك بعد أن يرجموك لأنهم قوم لا يعلمون؟ لا يا إخوتي لا نستطيع هذا... لقد رفع الحب من عالم العقل و المادة إلى عالم الروح الأبدي،

لا أعني أنه لا يوجد بيننا محبون لكن الحب يسمو بالمحب حتى لو كان في عالمنا بجسده إلا أنه لا يعيش معنا... إن تعايش الحب و الكره في قلب واحد أمر مستحيل.

عندما يكون هناك القليل من الكره نسميه حباً و عندما يكون هناك الكثير منه نسميه كرهاً، إنهما في الحقيقة مقداران أقل و أكثر من الكره أما الحب فلا وجود له على الإطلاق ... يقع مثل هذا النوع من الأخطاء بسبب التدرج في الشيء نفسه كأن نعتقد مخطئين بأن الحرارة و البرودة شيئان مختلفان و هما في الحقيقة درجتان مختلفتان من الشيء نفسه وهكذا نسمي الكراهية القليلة حباً.

نعم أوتار قلوبنا مفرطة في استرخائها ويستحيل أن تنبعث منها موسيقا الحب وموسيقا الفرح الغامر، أتعرف معنى الفرح الغامر؟ أتوجد في لحظة يمكن أن توصف بأنها لحظة فرح غامر؟ أعتقد أنك من الصعب أن تجيب واثقاً بنعم، و بالمثل هل تعرفت على الحب ؟ هل تعرفت على السلام ؟ أيضاً من الصعب أن تجيب واثقاً بنعم.

كل ما نعرفه هو الاضطراب والتوتر الذي عندما يصبح بدرجات أقل و أكثر نعتبره سلاماً وسكينة... قد يكون أحدنا مريضاً ويشعر ببعض التحسن بسبب تراجع في المرض

فيسمي هذا صحة، و عندما يعود المرض إلى حالته يسميه مرضاً أما الحقيقة فغير ذلك المرض هو المرض سواءً أكان ضعيفاً أم شديداً مميتاً... ندرةً منا من يعرفون الصحة الحقيقية، نعرف مرضاً أقل و مرضاً أكثر، و بالمثل نعلم توتراً أقل و توتراً أكثر أما السلام والهدوء فبالكاد تجد من يعرفهما.

قد يرى البعض و يظن أن الغضب يحدث ضمن أوقات بمفردها وهي التي نبدو فيها غاضبين... لا يا إخوتي نحن غاضبون لأربع وعشرين ساعة ولكن هناك غضب أقل وهناك غضب أكثر، الغضب ساكن في داخلنا ويبحث عن فرصة للظهور؛ الغضب مستعد دائماً للانقضاض عليك لكنه ينتظر العذر ليجعلك غاضباً، أما إذا لم يتوفر هذا العذر الخارجي فكن واثقاً أنك ستغضب دون سبب أو عذر وعندها يتهمك الآخرون بالجنون.

لنفترض أن متطوعاً قام بالتجربة التالية... سجن نفسه في غرفة مزوداً بكل الضروريات وكل لوازم الراحة وطلب منه تدوين كل ما يطرأ من تغيرات على أفكاره ومشاعره في تلك العزلة، سيلاحظ هذا الإنسان عندما يبدأ التدوين أنه و بغياب أي مؤثر خارجي سيكون خاضعاً لكل أنواع التقلبات من غضب، حزن، توتر، فرح و شبه سلام... إن ما حصل مع هذا الرجل هو

نفسه ما يجعلنا نخشى العزلة لدرجة كبيرة حيث لا توجد أعذار ومسببات للغضب في العزلة ونحن بحاجة لافتراض أعذار من داخلنا... لا يمكن لإنسان أن يبقى سليماً في عزلته لأكثر من ستة أشهر أما بعدها فمصيره إلى الجنون.

أخبر أحد الحكماء ملكاً بهذه الحقيقة لكنه لم يصدق فطلب الحكيم الاحتكام إلى التجربة... تم البحث عن الرجل الأكثر صحة وسعادة في المدينة التي سيعيشان فيها، فعثر على شاب وسيم و سعيد، متزوج وله طفل و يعمل ويكسب جيداً بحيث تنطبق عليه شروط التجربة... فقال له الملك « لن يصيبك أي أذى ولكن سنسجنك للتجربة في منزل ملكي ونقدم لك كل اللوازم والتسهيلات أما أسرتك فستكون أفضل مما لو كانت في عهدتك، ولكن بالمقابل عليك أن تبقى في عزلة تامة لستة أشهر »

سجن الرجل في المنزل وبر الملك بما وعد لكن العزلة كانت تامة، وخلال يومين أو ثلاثة بدأت ثورات العصبية تظهر عليه... لديه كل ما يريده ولا توجد أية عقبة فما الذي يدفعه للغضب و العصبية ؟ يعيش في قصر ملكي ولديه كل الصلاحيات إلا التحدث للآخرين، خلال ثمانية أيام بدأ يصرخ « أخرجوني لا أريد البقاء هنا.»

بغياب الآخرين تبدأ المشاكل بالخروج من الداخل و هذا ما حصل لصديقنا الشاب... بدأ يتحدث مع نفسه وكان يشتمها أحياناً؛ كان يحبها أحياناً ويغضب معها أحياناً أخرى... أخرج بعد ستة أشهر مجنوناً تمام الجنون كما استغرق علاجه ستة أعوام أخرى.

لولا أعذار الآخرين لدفعنا غضبنا الداخلي إلى الجنون... لا يستطيع الآخر دفعك إلى الغضب مهما فعل لكنه يمنحك عذراً لتخرج ما فيك من غضب...

افترض أنك تستخدم دلواً للحصول على الماء من بئر، فإذا كان في البئر ماء فيمكن النجاح بإخراجه مليئاً، وإلا مهما حاولت وكررت المحاولة فسيخرج دلوك فارغاً لخلو البئر من الماء، وبالمثل فالآخر دلو وأنت بئر، فإذا لم تكن مملوءً بالغضب و الحقد لا يمكن للآخر إخراجهم ولا إلى سواهم من الأعراض المرضية.

يقول أوشو « إذا أصبت بنوبة غضب أو عصبية واحدة في حياتك فأنت مريض و بحاجة إلى علاج » ولا يمكن لأي قوة في العالم أن تدفعك لمثل هذا ولكن ببساطة تريك ما هو داخلك.

نقول بعد نهاية كل حرب لقد انتهت الحرب ونحن الآن بسلام، ولكن ها نحن في حالة لا حرب منذ نهاية الحرب العالمية

الثانية، فهل نحن في سلام حقاً ؟ لعالمنا حالتين لا ثالثة لهما، إما حرب أو استعداد للحرب أما السلام فخدعة ولا وجود له حتى الآن.

نعم، أوتار قلوبنا شديدة الارتخاء ولا يمكن لغير الغضب، الحسد و الانحراف أن ينبعث منها... إذا كانت أوتار أدمغتنا مفرطة الشد ولا يمكن لها إصدار غير الجنون، ولما كانت أوتار قلوبنا مفرطة الارتخاء بحيث لا يمكنها إصدار غير الغضب و الكره فعلينا أن نعمل لإعادتها إلى التوازن وعندها فقط يمكن لموسيقا الحياة أن تنبعث منا.

كيف يمكننا إعادة التوازن إلى هذين المركزين الحل هو بالتأمل... عند إعادة التوازن إلى كل من القلب و الدماغ تصبح شخصيتنا أكثر انسجاماً، و كلما أصبحت شخصيتنا أكثر انسجاماً نتمكن من المضي إلى أعماقنا أبعد و أبعد وكلما افتقرت شخصيتنا للانسجام أصبحنا سطحيين و تائهين.

تتصل الروح بالجسد عبر السرة التي تعتبر مركزاً للحياة كما هي مركز للجسد، يولد الطفل و تبدأ حياته من خلال السرة و كذلك تنتهي، لذلك تعتبر السرة الباب و البداية بالنسبة للعارف و الباحث عن الحقيقة.

حاول أن تراقب طفلاً صغيراً نائماً وهو يتنفس، لن ترى أي اهتزاز في الصدر... تحصل الاهتزازات عنده في البطن الذي يتابع الصعود و الهبوط لأنه لا يزال قريباً من مركز السرة لكنه يبدأ بالابتعاد عنه كلما تقدم في العمر، وكلما ازداد هذا الابتعاد ضعف اتصال الإنسان بالروح وضعفت السرة.

من الضروري والحتمي اتخاذ بعض الترتيبات لتقوية السرة وتقوية الروح في الإنسان... كما للعقل إجراءاته التي ينمو ويتطور من خلالها مثل افتتاح المدارس والجامعات علينا اتخاذ بعض الإجراءات للنهوض باتصالنا بالروح، لسنا بحاجة لبناء المدارس والجامعات ولسنا بحاجة لإنفاق الملايين... تعرضك للقلق والخوف مثلاً يحدث هزةً و ضعفاً لاتصالك بالروح، أول خطوة اذاً علينا الابتعاد عن الخوف ومواجهة الحياة بشجاعة وإقدام، وكلما ازددت شجاعة وإقداماً ازداد مركز السرة لديك قوة وازدادت طاقة الحياة، يجب ألا نفهم الشجاعة هنا على أنها التهور والمخاطرة الخطرة التي قد تلحق الأذى بالجسد و غيره وإنما أن تحيا الحياة لحظة بلحظة دون القلق مما هو آت.

من الشجاعة مثلاً دخولك في تجارة تحتمل الربح والخسارة ومنها ابتعادك عن مهن الدخل الثابت والمحدود والمستقر، ومن الخوف العمل بها كالوظائف الحكومية، ومن هنا جاءت

فكرة تحريم تلك الوظائف عند بعض المذاهب الدينية... ومن أهم عوامل تقوية الارتباط بالروح في هذا المجال امتهان الأعمال والمهن اليدوية كأن تكون نجاراً، حداداً أو فني صيانة والأفضل من ذلك كله الزراعة اليدوية.

ينجذب الإنسان إلى الروح بجاذب قوي وهو الطاقة الجنسية، إضافة للجماع يعد التأمل استجابة أفضل لذلك الجذب أي يكون الإنسان في حالة التأمل الأقرب إلى الروح الإلهية... ولإدراك جوهرية التأمل يمكن تعريفه بأنه اختبار للجنس دون أجساد و لفترة قد تطول لساعات، وباختصار تشعر خلال التأمل بنفس النشوة التي تشعر بها أثناء تمام عملية الجماع ولكن لفترة طويلة... وجدنا أن أدمغتنا بحالة دائمة من التوتر والشد المفرط ولا يمكن في حالة كهذه الدخول في عالم التأمل، والخطوة العملية الأولى في تعلم التأمل السماح للدماغ بالاسترخاء ليأخذ فرصة بالاستراحة... لإدراك معنى استرخاء الدماغ قم بالتجربة التالية:

حاول أن تفرض على دماغك أكبر توتر وشد ممكنين وذلك لدقيقة واحدة متواصلة أو أكثر – حافظ على التوتر و الشد قدر المستطاع، ثم أطلق الدماغ ليسترخي فجأة فستشعر من فورك بهبوط الطاقة نحو مركز السرة... من شأن الحفاظ على

تمارين الاسترخاء زيادة حساسية الدماغ وبالتالي زيادة فعالية الحواس، إلى جانب استرخاء الدماغ يجب التدرب على الصمت كخطوة لبداية التأمل { راجع كتاب « من الجنس إلى الضمير الكوني »...} على الجسد أن يكون في التدريبات السابقة بحالة من الاسترخاء هو الآخر ويفضل أن يكون بوضعية شبيهة بالهرم كما يجب ممارسة ذلك كله و العينان مغمضتان لأنهما مبدد لا يستهان به للطاقة... تمكن الممارسات السابقة من التعرف واختبار حالة اللا فكر وهي أول بداية للتأمل .

من الأرض إلى السماء

أعود هنا للتأكيد أن السرة هي المركز الرئيسي الأهم لحياة الإنسان، لكننا وطيلة الخمسة آلاف عام الماضية وجهنا تطورنا وفقاً لمعايير عقلية مما أوقع حياتنا في هوة الخطأ والجنون، فقد عملت الثقافة الموجهة عقلياً على تطوير الدماغ والذكاء وحدهما وها نحن نحصد نتائجها الكارثية فأدمغتنا على حافة الانهيار و نحن إلى الجنون أقرب.

و من اللافت في الأمر أنه وجد في العقود القليلة الأخيرة أن معظم عظماء الفكر الإنساني يعانون من نوع أو آخر من أنواع الجنون وإذا استمرت الإنسانية في السير بهذا المسار من الثقافة فإن تلك الأعراض من الجنون ستصل كل إنسان... إذا كان من الضروري قدوم إنسان جديد إلى الوجود فلا بد أن يتغير مركز الحياة ليكون أقرب إلى السرة منه إلى الدماغ وعندها فقط يكون أقرب إلى طاقة الحياة نفسها.

يتشكل الجنين و يتطور في رحم الأم ويكون متصلاً بجسدها عبر السرة وهذا معناه أنه يحصل على طاقة الحياة من أمه عبر هذا المركز الحساس... إن طاقة حياة الأم هي نمط خاص

وشديد الغموض من الكهرباء يغذي الوجود الكامل للجنين من خلال السرة.

والآن، لا بد للطفل أن ينفصل عن الأم في لحظة ما، وهذا ما يحصل فجأة عند الولادة حيث تقطع السرة ويظن الغبي أن وظيفتها قد انتهت... بقطع السرة يتوقف تدفق طاقة الحياة إلى الطفل وعندها يبدأ كامل وجوده بالارتجاف فهو بحاجة لمصدر جديد لهذه الطاقة، وإلا لن يتمكن من النجاة ومتابعة الحياة ولذلك يبدأ بالصراخ والبكاء ... إن الدافع الأساسي والحقيقي الأول لبكاء الطفل عند الولادة هو ألم الانفصال عن تلك الطاقة الحيوية ولا يوجد دافع آخر، أما إذا لم يبدأ الطفل بالبكاء فور ولادته فيدرك الأطباء والعارفون بأن خطأً يحدث وأن حياته بخطر... إذا لم يبدأ الطفل حياته بالصراخ والبكاء فهذا يعني أنه لم يشعر بانقطاع طاقة الحياة عنه، و بالتالي يجب تركيز الجهود لجعله يبكي وإلا فهو إلى الموت أقرب.

والآن يبدأ بحثه عن المصدر الآخر الذي يتصل من خلاله بتلك الطاقة... يحصل الطفل بعد الولادة على طاقة حياته من خلال حليب الأم، أي أن المركز الثاني للاتصال بين الأم و الطفل هو القلب، حيث يبدأ وببطء تشكل هذا المركز عند الطفل مرافقاً لقلب الوالدة، وهنا ينسى كل شيء عن المركز الأول

وهو السرة فهو يحصل الآن عبر شفتيه على ما كان يحصل عليه عبرها... نشأت دارة جديدة تربط الطفل بالأم وبطاقة الحياة... والآن، ماذا لو لم يتغذى الطفل بحليب الأم ولم يستوفِ حقه منه ؟ ستبقى حياته مضطربة، ستظل طاقته ضعيفة و هناك احتمال ضئيل لحياة طويلة... يمكن أن يتغذى الطفل بحليب آخر كحليب البقر أو الحليب المصنع، ولكن، أي مركز قلب سيتطور لديه بالاتصال بقلب بقرة ؟!! للأبقار حليبها الذي يساعد العجل في حياته البرية وللإنسان حليبه الذي يساعده في حياته ضمن جماعته الإنسانية لكننا وللأسف أصبحنا أخوة بالرضاعة نحن والعجول... لا يمكن لمن لا يتغذى بشكل كامل من حليب الأم أن يعرف السكينة والفرح الغامرين أضف إلى ذلك ما يحدثه تناول الحليب ومشتقاته من أمراض أبدية للروح.

إن الصفة المميزة للأجيال الشابة اليوم ولا سيما في الغرب هي التمرد والعصيان، والسبب الجذري والعميق لهذا هو عدم الاكتفاء من حليب الأمهات وبالتالي يبقى موقف الشاب من الحياة مفتقراً للحب... تعرضت طاقة الحياة عنده منذ الطفولة المبكرة للعديد من الصمات فلم يعد قادراً على الحب... لقد تسبب الانفصال غير المناسب عن الأم بانفصال عن الحياة.

كلما أصبحت المرأة أكثر ثقافة ازدادت رغبتها بإبعاد الطفل عنها، و كلما أسرع الطفل بالابتعاد عن أمه ازدادت صعوباته لتحقيق الأمن والاستقرار في حياته وازداد التوتر والاضطراب الذي سيواجهه... من المسؤول إذاً ؟ وعلى من سيلقي الشاب بالأثمة و ممن سينتقم ؟

لا يجد الشاب من ينتقم منه، وهذا ما يحدث بالفعل، فلا يجد إلا والديه يصب انتقامه عليهما دون أن يعلم أي رد فعل يحدث داخله؛ دون أن يعلم سبباً لهذا التمرد والعصيان الذي يجتاحه ودون أن يعلم أي النيران تلك التي تعصف به... لكنه يعلم يقيناً في لا وعيه العميق أن سبب ذلك كله هو الانفصال المبكر عن أمه... تدرك القلوب ما لا تدركه العقول والنتيجة هي تمرد، عصيان وانتقام من الوالدين ومن كل شيء.

يحصل الإنسان على أول المشاعر تجاه الله من خلال الوالدين ولذلك لا يمكن لمن يعادي ولديه أن يكون محباً له، و من هنا جاءت نظرة بعض المذاهب لله على أنه أب، ليكون أحدنا محباً و موقراً لهذا الوجود العظيم عليه في البداية تعلم حب وتوقير الوالدين وإلا... !!!

ولكن، مهما طال اتصال الطفل بالمصدر الثاني لطاقة الحياة وهو قلب الأم عن طريق حليبها لا بد له من الانفصال في لحظة

معينة، ولكن يخطئ معظمنا في تقدير تلك اللحظة ويتسرع بفصل الطفل عن حليب الأم.

في الحقيقة يجب عدم إجبار الطفل على ذلك الابتعاد فوحده يعلم ويقرر الوقت المناسب... إن ما يحصل اليوم من فطام مبكر -هذا إن وجد إرضاع طبيعي من البداية -يشبه انتزاع الطفل من الرحم و هو لا يزال في الشهر الرابع أو الخامس من الحياة الجنينية... فإذا أردنا للطفل أن يطور قلباً وحباً سليمين علينا منحه حرية الخيار بالابتعاد عن صدر الأم .

لم يعتبر -وعبر العالم -صدر المرأة العضو الأكثر جذباً للرجال في جسدها ؟ إنهم رجال لا زالوا يبحثون عن رغبة غير مشبعة ساكنة في لا وعيهم العميق بسبب الانفصال المبكر عن قلوب الأمهات... لم تتركز معظم إنتاجاتنا العقلية من قصائد، رسوم، دراما وغيرها حول الموضوع نفسه ؟ لأن ذلك كله هو نتاج رجال لم يتطور عندهم مركز القلب بما فيه الكفاية... لا يوجد في المجتمعات القبلية التي لا زالت محافظة على فطرتها الطبيعية مثل هذه الانجذابات حيث يسمح للطفل بالبقاء للمدة التي يريدها مرتبطاً بحليب الوالدة... نفعل فعلتنا من جهة أولى ونحاول منع ما نسميه تحرشاً جنسياً من جهة أخرى.. لا يعد التحرش صحيحاً أو حقاً ولكن هذه هي أسبابه.

هناك دافعان أساسيان يدفعان المرأة لإبعاد الطفل مبكراً عن صدرها، أولهما حب الحياة العملية و لا سيما العلمية منها و في هذا حق في ضوء حاجات عالمنا المعاصر، و ثانيهما الشغف الطبيعي تجاه الجنس و الحياة الجنسية، حيث عادة ما ترى المرأة في الطفل عائقاً لحريتها الجنسية كما أن انجذابها الجنسي يتراجع بعد الولادة بفعل رابطة الجنس الروحي مع الطفل وهذا في الحقيقة دافع الامتناع عن الإنجاب برمته و لا سيما في الغرب.

رأينا أنه لا وجود لمثل هذه المشاكل في المجتمعات القبلية الفطرية حيث تقتصر الحياة المهنية للجميع على الزراعة في الغالب وعادة ما يقوم بها الرجال، أما الحياة الجنسية فهي متاحة لمبادئ كل جماعة... إن حياة الجماعة هي الحل الأفضل الذي يحقق الاستقرار و التوازن للجميع لكنه يبقى حلاً نظرياً من شبه المستحيل تحقيقه في عالمنا الذي يسمى متحضراً.

إن لكل مركز من المراكز الثلاثة وظائفه الخاصة و المحددة بحيث لا يستطيع أي مركز آخر القيام بها، كما أن هذا المركز في حال عدم اكتمال نموه الصحيح لا يستطيع القيام بتلك الوظائف... وفي حالة كهذه يحاول الإنسان و عبر مركز آخر إكمال ما لم يستطع المركز المسؤول إكماله... فعلى

سبيل المثال ينجذب الرجل نحو صدر المرأة بفعل عدم اكتمال وظائف القلب عنده و تنجذب المرأة نحو دماغ الرجل الذي نما بشكل مفرط.

ولكن، ما الذي حدث للإنسان ؟ بفعل توقف نمو مركز السرة بعد الولادة وعدم اكتمال نمو القلب تحمل الدماغ كل أعباء الحياة وأصبح الموجه الأوحد لتطور العالم... أصبحنا مثلاً نستخدم العقل لنحب ولا توجد أية علاقة بين العقل والحب فالقلب هو المركز الوحيد حيث ينشأ الحب، وقد تسبب تدخل العقل والفكر بموضوعي الحب والجنس بانتشار الجنسانية القبيحة في كل أنحاء العالم... فما الجنسانية إلا تعبير عن استخدام الفكر و التفكير للحب .

يعتبر الجنس أعظم طاقات الحياة و مركزه السرة لكننا وبفعل عدم اكتمال نمو هذا المركز أصبحنا نستخدم الدماغ للوظيفة نفسها... يوجد جنس عند الحيوانات و لاتوجد جنسانية فلذلك جنسها جميل و رائع، أما جنسانية الإنسان فقبيحة لأنها أصبحت وظيفة عقلية فكرية.

تناول الطعام أمرٌ ضروري و فطري في الحياة لكن التفكير به حماقة، إن من شأن التفكير الطويل في الطعام إحداث اضطرابات في المراكز الأساسية حيث يبدأ الفكر بمحاولة

أداء عمل المعدة في الهضم وهذا بالطبع مستحيل، فكلما ازداد تفكير أحدنا إذاً بالطعام ازداد الاضطراب في عمل المعدة... يدخل الطعام إلى المعدة من تلقاء نفسه و تقوم بهضمه من تلقاء نفسها و لا حاجة بك للتفكير في ذلك، و لكن حاول مرة أن تفكر بالطريقة التالية: الطعام الآن بطريقه إلى المعدة، وصل الآن الطعام إلى المعدة، بدأت المعدة الآن عملها... في حالة كهذه يستحيل على تلك المعدة أن تكمل عملها، وهذا ما يحصل عادة مع شديدي الهوس بالصيام دون هدف و دون إدراك علمي.

بنفس الطريقة تم انتزاع الجنس من مركزه الأساسي وإدخاله في العقل، والآن ،فقد نقلنا جميع المراكز الأساسية الثلاثة وهي الدماغ الأكثر سطحية وهو مركز الفكر والمنطق، القلب أعمق قليلاً من الدماغ وهو مركز العواطف والمشاعر وأعمقها السرة وهي مركز للحياة والوجود إلى الدماغ وحده... إننا كمن يحاول أن يسمع بعينه أو أن يرى بفمه، فما نتيجة ذلك غير التشتت والضياع ؟!!

يمكن للإنسان أن يعود للحياة بعد توقف القلب وانقطاع الصلة بينه وبين مركز الحياة في السرة، شريطة أن يعود القلب للعمل خلال فترة لا تتجاوز الست دقائق، وهناك تقنية تسمى

البؤانا تمكن الإنسان من البقاء حياً لأعوام طويلة دون تنفس مع حرية العودة للحياة الطبيعية، ولكن ماذا إذا توقفت الحياة في السرة ؟ لا يمكن عندها سوى الموت .

يؤكد الدين الحقيقي أن التفكير والمنطق ليسا أساساً للحياة بل على العكس الأساس أن تكون متحرراً منهما؛ أن تكون لا فكرياً هو الأساس، لكننا تجاوزنا الأساس الحقيقي ولا نحيا بغير الفكر والمنطق اللذين لم يوصلا حياتنا لغير الضياع و الجنون... كلما ازداد تدخل الفكر والمنطق في حياتنا ازدادت وظائفها ارتباكاً وفوضى، لذلك تدخلنا الطبيعة يومياً بفترة من النوم العميق نتحرر خلالها من الشيطان الفكري مما يمكن كافة المراكز من إتمام عملها بهدوء وهذا ما يشعرنا بالراحة و السلام بعد الاستيقاظ صباحاً.

هناك علاقات متبادلة بين مراكزنا المتقابلة، فعلى سبيل المثال يمكن التواصل الفكري عن طريق العقل فقد تراني مصيباً في بعض الأمور و قد أراك مخطئاً في بعضها الآخر أو قد نتأثر بأفكار أحدهم أو أن تؤثر أفكارنا به وهذا هو الحد الأدنى والأكثر سطحية من العلاقات الإنسانية، أيهما أعمق برأيك، هذا النوع من العلاقات أم الحب ؟

الحب إذاً نمط أعمق من العلاقات ومركزه القلب فقط ولا علاقة للفكر والوعي بها، والنمط الأعمق من العلاقات هو علاقات الحياة وتحدث عبر السرة وهي علاقات أصعب من أن توصف و تعرف لأننا لا نعلم عنها الشيء الكثير.

إن قوة الحياة في الأم هي التي تبعث الحياة في سرة الجنين، وهي في الحقيقة نوع من الكهرباء دائم التدفق بين سرة الأم وسرة الابن يستمر طيلة الحياة، وبالتالي أينما واجه هذا الإنسان امرأة لها نفس النمط من الكهرباء سيشعر و دون وعي منه بنمط محدد من العلاقة دون أن يفهم له سبباً، ندعو هذه العلاقة غير المفهومة حباً -و قد يسمى حباً أعمى لأننا لا نعرف سببه - و هو في الحقيقة قادم من أعماق بعيدة ويصعب وصفه و تعريفه.

قد تقابل شخصاً وتشعر تجاهه بنفور شديد ورغبة بالهرب دون أن تعلم لذلك سبباً، إذا كانت نوعية كهربائيتك المؤثرة بسرته معاكسة لنوعية كهربائيته المؤثرة بسرتك فستشعر أن سبباً خفياً يدفعك بعيداً... وبالمقابل عندما تتوافق نوعيتا الكهربائيتين تشعر بانجذاب نحو هذا الشخص دون أن تعلم له سبباً.

في حياة الإنسان إذاً ثلاثة مستويات من العلاقات، علاقات العقل وهي ضعيفة وسطحية مثل علاقة الطالب بمدرسه، علاقات الحب وهي أعمق قليلاً من سابقتها مثل علاقة الزوج بالزوجة وعلاقة الأم بالأبن أو علاقات الأشقاء وهي علاقات مقرها القلب وأخيراً وهي الأعمق على الإطلاق علاقات تنبع من السرة و هي التي نعرفها بالصداقة الحقيقية التي لا يمكن أن تزول مهما كانت الأسباب... يمكن للحب أن يصبح لا حباً أو كرهاً أيضاً أما إذا تحولت الصداقة إلى لا صداقة فهي ليست صداقة من الأساس.

مقر علاقات الصداقة هي السرة وهي علاقات ذات مستويات عميقة وغير معروفة... هذا ما دفع بوذا إلى الطلب من مريديه أن يتصادقوا ولم يطلب منهم أن يتحابوا مثلاً، وكان دافعه في ذلك أنه يجب أن يكون في حياة كل إنسان أصدقاء من هذا النوع، وذات مرة سأله أحد المريدين لماذا لا يريد أن يدعو تلك العلاقة حباً فأجاب « يمكن للحب أن ينتهي، أما الصداقة فلا» الحب أسر والصداقة حرية، يمكن للحب أن يتحول إلى ما يشبه العبودية أو المرؤوسية أما الصداقة فلا تعرقل ولا تتحكم... الصداقة تحرر... عادة ما يصبح الحب عبودية لأن المحبين يطلبون في هذه الحالة ألا يحب محبهم سواهم.

أما في الصداقة فلا يوجد مثل هذا إصرار فيمكن أن يكون لشخص واحد آلاف من ملايين الأصدقاء... ذلك لأن الصداقة اختبار عميق وواسع ينبع من أعمق مركز للحياة، ولهذا السبب تُصبح الصداقة طريقنا الأعظم لبلوغ الألوهية... إن من يكون صديقاً للجميع سيبلغ الألوهية عاجلاً أم آجلاً لأنه مرتبط بمراكز السرة لهم جميعاً ولا بد له أن يرتبط في النهاية بمركز السرة الكوني.

على أحدنا إذاً ألا يقصر علاقاته إذاً على المستويين العقلي والقلبي، وإنما يجب أن يتعدى ذلك إلى مستوى أعمق ليبلغ السرة.

سيظهر عاجلاً أم آجلاً أننا مرتبطون بمصدر فائق البعد وغير مرئي من طاقة الحياة... فعلى سبيل المثال فجميعنا يعلم الارتباط بين حركة القمر وحركة مياه البحر في المد والجزر، كما أن للشمس تأثيرها غير المرئي وغير المعروف على الحياة في الأرض... عندما تشرق الشمس في الصباح تحدث ثورة في الحياة على الأرض، كل ما كان نائماً؛ كل ما كان جامد كأنه ميت و كل ما كان منفصلاً عن الوعي يعود للحياة من جديد، تعود الطيور للطيران والغناء وتعود الورود للتفتح... يترك تدفق غير مرئي من الشمس تأثيراته علينا.

توجد في الحقيقة العديد من المصادر لطاقة الحياة تصلنا بهذه الطريقة لتعمل وباستمرار على تنظيم حياتنا... فكما للشمس تأثيراتها وللقمر والنجوم تأثيراتها فللحياة أيضاً تدفقها الطاقي غير المرئي الذي ينظم باستمرار عمل مراكز الحياة فينا، وكلما ازدادت قابلية مراكزنا لاستقبال تلك الطاقة ازداد تأثير الطاقة بالمراكز و العكس صحيح .

تشرق الشمس في الصباح فتتفتح الورود، ولكن إذا نحن أقمنا جداراً حول إحداها فمنعنا نور الشمس من الوصول إليها، فما الذي سيحدث ؟ ستذبل الوردة بالتأكيد ولن تتفتح أبداً... خلف الجدران و الأبواب الموصدة لا تستطيع الشمس الدخول لتمنح الحياة للوردة وتجبرها، ولكن على الوردة أن تكون في وضعية تسمح لها باستقبال النور الذي يساعدها على التفتح، كما أن الشمس لا تستطيع البحث عن كل وردة بمفردها لتنظر فيما إذا كانت مستعدة لاستقبال النور أم لا ،حتى أنها غير قادرة على معرفة أي شيء عن الورود لكنها عملية طبيعية و غير واعية للحياة... تشرق الشمس فتتفتح الورود، أما إذا كانت الوردة مختفية خلف الجدران فستذبل وتموت فهذه بالطبع مشكلتها.

وبالمثل تتدفق طاقة الحياة نحونا من جميع الاتجاهات ولكن الذي أغلق مركز سرته فهي مشكلته وهو محروم من ذلك الفيض السماوي، لا بل لا يعلم أن هناك طاقة قادرة على التأثير بشيء ما داخله دافعة إياه للتفتح... لقد دعي مركز السرة منذ القدم باللوتس لأنه قابل للاستجابة لطاقة الحياة والتفتح بتأثيرها... إننا بحاجة لإعداد و تحضير مراكزنا لتكون مفتوحة على السماء المفتوحة مما سيمكن تلك الطاقة المتاحة للجميع من الوصول إليها وتفتيحها.

والآن كيف يمكن جعل مراكزنا جاهزة للاتصال بأي فيض من الطاقة ؟

في البداية علينا إعادة النظر في تنفسنا، فكلما كان تنفسنا أعمق أصبحنا أكثر كفاءة للعمل على مراكز السرة لدينا وتطويرها، لكننا لا نعلم يقيناً عن هذا شيئاً كما أننا لا نعلم المقدار الضروري الذي نحتاجه، ولكن كلما ازداد شعور المرء بالخوف والقلق ازدادت الأفكار التي تطارده وبالتالي يزداد الحمل على الدماغ، وكلما ازداد حمل الدماغ تضاءل تدفق النفس.

هل لاحظت مرة أن طريقة تنفسك تتغير حسب حالتك الفكرية؟ أي أنها تتغير بين الغضب والهدوء أو أنها تتبدل

عندما يكون الفكر ممتلئا بالرغبة الجنسية عنها عندما يكون ممتلئاً بالمشاعر الجميلة، هل لاحظت أن تنفس الشخص المريض مختلف عن تنفس الشخص السليم ؟... يتبدل تنفسك لحظة بلحظة وفقاً لحالتك الفكرية، وبالعكس تتغير الحالة الفكرية عندما يتدفق النفس بشكل صحيح و متناغم.

فالشيء الأول الذي نحتاجه لإحداث تغييرات إيجابية في مراكز الحياة لدينا هو التنفس الموزون... في الجلوس والوقوف وفي الحركة والسكون يجب أن يكون النفس متناغماً وعميقاً لدرجة تمكننا من اختبار أنماط مختلفة ومتناغمة منه، فإذا كنت تسير في الطريق مثلاً ولا تؤدي أي عمل فمن الجميل والممتع أن يكون نفسك عميقاً، هادئاً، بطيئاً ومتناغماً و في حالة الجماع من المدهش أن يكون النفس بطيئاً جداً و سطحياً لدرجة أنه لا يكاد يظهر.

طالما بقي النفس متناغماً قلت الأفكار في الفكر، لا بل تكاد تختفي تقريباً وتختفي تماماً عندما يكون هذا النفس مستوياً تماماً... يؤثر النفس إذاً في الأفكار إلى مستوى بعيد وعميق... لا تعتبر عملية التدرب على النفس الصحيح والملائم مكلفة للغاية من حيث الوقت والجهد، فإذا تمكنا من

الحفاظ على نفس عميق و هادئ لعدة أيام متواصلة فستصبح هذه العملية تلقائية وليست بحاجة لتدخل الوعي.

يزداد تطور مركز السرة كلما كان النفس أبطأ و أعمق لأن النفس يصطدم به مع كل عملية صعود وهبوط، أما إذا تكرر صعود وهبوط النفس دون أن يكون عميقاً بحيث لا يصل السرة فسيكون ذلك سبباً لتحول هذا المركز إلى الضعف والتوقف.

توصل القدماء إلى بعض الطرق للتنفس لكن ذكاء الإنسان عادة ما يخونه في إدراك معاني مثل هذه الأشياء فيأخذ بتكرارها عن ظهر قلب... فكل صيغة لفظية تشير إلى معنى وفقط عند إدراكنا هذا المعنى تصبح هذه الصيغة ذات دلالة بالنسبة لنا و قد نبدأ بتداولها.

فعلى سبيل المثال كثيراً ما نردد جميعاً لفظ الجلالة أو اسم الألوهية « اللّه » في الحقيقة تتألف هذه الكلمة من ثلاثة مقاطع صوتية يترافق كل منها مع درجة تنفسية أولها الـ التعريف مع اللام التالية لها « الـ » أما ثانيها فهو الفتح على اللام الثانية و آخرها الهاء... و الآن حاول إغلاق فمك ثم حاول لفظ المقطع الأول مع التشديد عليه فستشعر بالصوت يتردد في رأسك... حاول الآن أن تكرر التجربة نفسها مع المقطع الثاني

فستشعر أن الصوت يتردد في صدرك أو قلبك و أخيراً كرر التجربة مع الهاء فستشعر و لا سيما عندما تلاشيها فستشعر أن الصدى يتردد و يخرج من قرب السرة... تشير هذه المقاطع الثلاثة إذاً إلى المراكز الأساسية الثلاثة، بحيث يشير أولها «اللـ» إلى الرأس أو الدماغ، ويشير ثانيها إلى مركز القلب أما ثالثها وهو الهاء فتشير إلى السرة أو الروح.

تشير هذه المقاطع الثلاثة إلى رحلتنا الداخلية فعلينا الانطلاق إذاً من الـ أو من الدماغ حيث نقف الآن لنتجه عمقاً نحو الفتح أو القلب ثم إلى الهاء أو الروح وهي الغاية النهائية... في الحقيقة للكلمة الهندية « AUM أو OM » والتي تعني لفظ الجلالة التقسيم نفسه... الحرف الأول أو المقطع الأول A إشارة إلى العقل، الحرف الثاني أو المقطع الثاني U دلالة إلى القلب و آخرها M إشارة إلى الروح و لو حاولت تكرار تجربة إغلاق الفم السابقة ستحصل على نتائج متطابقة... و أترك لك محاولة إيجاد الأقسام الثلاثة للكلمة الإنكليزية« GOD » وتكرار التجربة ذاتها لتحصل على النتائج ذاتها.

التنفس العميق هو البداية وكلما كان أعمق أصبح متوازناً أكثر وازداد إشراق طاقة الحياة فيك؛ تبدأ بالإشعاع... ما هي إلا أيام قليلة حتى تبدأ بالشعور ببعض الطاقة تشع وتتدفق من

سرتك كما ستشعر بطاقة تدنو منك... ستشعر ببداية تطور مركز فائق الحياة قرب سرتك.

إلى جانب التنفس كعامل بيولوجي توجد الشجاعة كعامل نفسي تفيد في بلوغ مركز السرة...

لذلك و كنصيحة تربوية علينا ألا نحذر الأطفال ونقول لهم مثلاً « في الخارج ظلمة فلا تخرجوا » فبهذه الطريقة و دون علم منا نلحق الأذى البالغ في مراكز السرة لديهم و إلى الأبد، بل على العكس علينا أن نقول لهم « الظلمة الجميلة تناديكم فاذهبوا » و بالمثل إذا أراد الأطفال تسلق الجبال فلنسمح لهم وإذا أرادوا تسلق الأشجار فلنسمح لهم ولنسمح لهم بأي نوع من اختبارات المغامرة، حتى لو تعرض بعضهم للأذى والموت أحياناً فلا يعد هذا مانعاً فعلياً لهم من المغامرة، فالطفل المليء بالخوف المفتقر للشجاعة و الإقدام ميت رغم ما يظهر عليه من مظاهر الحياة.

تفاوتت الأديان في حديثها عن أهمية الشجاعة و الإقدام فمنها من لم يذكرها أبداً ومنها ما أكد عليه، لكن الحقيقة هي : دون شجاعة لا وجود للدين من الأساس، فدون شجاعة يبقى مركز الحياة الرئيسي ضعيفاً وغير متطور... نحتاج مقداراً من الشجاعة يكفينا لمواجهة الموت والتغلب عليه، لكننا أطلنا

التحدث في الدين وبقي خوفنا من الموت لا تحده حدود، لكن حقيقة المعرفة، الدين و الروح يجب أن تكون غير ذلك، فالعارف بالروح لا يخاف من الموت لأنه متأكد تماماً أنه لا يوجد ما يدعى موتاً... ربما تكون حقيقة اهتمامنا الظاهري بالدين و الروح هي خوفنا من الموت الذي نراه أكيداً ونجد في أبدية الروح عزاءً...علينا تطوير الشجاعة و الإقدام؛ علينا أن نرحب بها و نواجهها.

سأل أحدهم Nietzsche مرة كيف له أن يطور و يقوي شخصيته فأجاب هذا الأخير بمبدأ فريد لا يمكنك تخيله « إذا كنت تريد أن تطور و تقوي شخصيتك عليك أن تحيا بخطر -عليك أن تحيا بخطر » لكننا نحيا ونعتقد أننا كلما ازددنا أمناً كان أفضل -منزل، حساب مصرفي، وظيفة في الحكومة ورجال جيش و شرطة، كل ذلك كفيل بتحقيق حياة آمنة وهادئة، ولم ندرك أننا أصبحنا أمواتاً بذلك... ليس لدينا أي أشكال للحياة لأن المعنى الوحيد للحياة هو حياة المغامرة و الخطر – بالطبع المغامرة غير التهور و الحماقة - -أصبحنا أمواتاً بجثثٍ آمنة تماماً، فمن ذا الذي يقتل جثة أو يسرق قبراً ؟!!! لا أحد.

بنى أحد الملوك قصراً جديداً، و للاحتياطات الأمنية لم يجعل له إلا باباً واحداً، قدم ملك من مملكة مجاورة لرؤية القصر فأبدى إعجابه به وقال بأنه سيبني قصراً مشابهاً فليس بمقدور أي من الأعداء أو المتسللين الدخول فهناك مدخل واحد فقط والإجراءات الأمنية عليه مشددة... وعند المغادرة قال الملك الضيف « سررت بالزيارة و سأبني لي قصراً مماثلاً ».

عند سماعه لهذا بدأ رجل مسن يقف إلى جوار الملك الضحك، سأله الملك عن سبب ضحكه فقال « إذا كنت تريد أن تبني قصراً مماثلاً فلا ترتكب الخطأ الذي ارتكبه أخوك الملك.»

سأل الملك ثانية « وأي خطأ في قصر كهذا ؟ »

فأجاب الشيخ « لا تجعل للقصر باباً واحداً بل اغلق جميع الأبواب لتكون في أمن مطلق .»

فقال الملك « يصبح القصر في هذه الحالة قبراً !»

فعاد الشيخ و قال « لقد أصبح القصر ذو الباب الواحد و الأمن الفائق قبراً أيضاً... الأمن شديد و لا يوجد خوف من شيء... إنه قبر ».

قد نعتقد أن البسالة و الإقدام هي غياب الخوف، لكن الحقيقة غير ذلك، البسالة و الإقدام هما الخوف المطلق مع امتلاك الشجاعة لمواجهته لكنه مبدأ غير موجود في حياتنا.

لا يمكن للصلوات في المعابد أن تجعلك قريباً من اللّه مهما تنوعت و تكررت لكن الاقتراب بتلبية نداء المغامرات والخطر، بكل تأكيد سيجعلك ذلك قريباً من الألوهية لأن المركز الثابت فيك سيشع بالتحدي و يتطور؛ سيتطور مركز السرة عندك و يصبح حياً.

قد تكون سمعت بالسانية الهندية التي قامت في القديم على فكرة نبذ الأمان بالتحديد، فقد عمد معتنقوها لمغادرة أسرهم و منازلهم، ليس لأن تلك الأشياء غير صحيحة كما بدأ يظن بعض الأغبياء فيما بعد، بل بحثاً عن كل ما فيه مغامرة ومخاطرة و حتى تهديد بالموت، دون أن يكون هناك أي صديق أو قريب و لا حتى أي نوع من المعرفة الشخصية.

لكن اتخذت السانية مع الوقت معنىً معاكساً تماماً فقد بدأ السانيون يعملون لتأمين احتياطات أمنية لأنفسهم تفوق حتى ما يتوفر لأبناء المجتمع العاديين، فبينما يتوجب على الإنسان العادي العمل لكسب الرزق أصبح الساني يحصل على كل احتياجاته من الآخرين... تحول الساني إذاً من إنسان قوي محب للمغامرة و الخطر إلى إنسان مقيد جبان لا يظهر عليه أي من صفات الشجاعة والإقدام.

المفترض في الساني أن يكون موحداً كونياً لا ينتسب لأي دين، لكن هذا التوحيد أصبح محفوفاً بالمخاطر بالنسبة له، فقد يفقد بهذا التوحيد دعم طائفة معينة، فقد يقول المسلمون مثلاً « نحن مسلمون و لا نقدم عوننا إلا لسانيين مسلمين ».... وبذلك تخلى الساني عن توحيده ليفوز بالتطفل؛ إنه البحث عن الأمان عينه، إنه البحث عن منزل جديد، يصبح أحدهم سانياً و يتذرع بالتقوى مستغلاً مبدأ الجنة و الجحيم كأن يقول مثلاً لنفر من قومه بأنهم عصاة و يتوجب عليهم العمل و بناء المنازل وبأنهم ربما يذهبون إلى الجحيم فيحصل بذلك على منزل جديد و غير ذلك ليستمتع بفكرة الذهاب إلى الجنة.

لكن المعنى الدقيق والأصيل للسانية هو التوق لحياة الخطر؛ تعني السانية بدقة عدم وجود الحماية و المعرفة الشخصية كما تعني عيش اللحظة ولا يوجد ما هو محقق بالنسبة للغد.

بينما كان ماراً في حديقة قال المسيح لمرافقيه «انظروا لهذه الورود وقد تفتحت في الحديقة، تفتحت و لا تعلم فيما إذا كانت الشمس ستشرق في الغد أم لا؛ إنها لا تعلم فيما إذا كانت ستحصل في الغد من ماء أم لا، و مع ذلك تفتحت اليوم و هي سعيدة » وحده الإنسان ينهمك اليوم بإعداد متطلبات الغد

وبعده ومنا من يعد العدة و يصمم مقبرته وهناك من يعتبر نفسه حكيماً فيقيم لنفسه نصباً تذكارياً قبل أن يغادر.

لكننا لا نعلم أننا عندما نعد لوازم الغد منذ اليوم فقدنا اليوم و قتلناه إلى الأبد و أيضاً عندما نعد في الغد لوازم بعد الغد نفقد الغد و نقتله إلى الأبد... وهكذا تستمر رحلتنا في خسارة اليوم الحالي الذي ليس لدينا سواه.

لكن الغد لن يأتي أبداً وعندما يأتي يصبح اليوم، هذه هي طبيعة الفكر الباحث عن الأمان... نضحي بالحاضر الذي لا نملك غيره من أجل مستقبل لن يأتي أبداً، وكل ما نجده في النهاية أن حياتنا أفلتت من أيدينا.

إن من يحيا اليوم و يتجاهل كل شيء عن الغد يعتبر بخطر وعدم أمان، لأن الغد ربما يحمل مغامرة فلا يوجد ما هو مؤكد بالنسبة للغد... فربما تتحول الزوجة المحبة اليوم لأخرى كارهة في الغد وكذلك الزوج، إذا توافر مال اليوم فمن الممكن ألا يتوافر في الغد... يبدأ مركز السرة عند من يقبل كامل القبول بهذه الحالة من عدم اليقين و التحقق بالنمو والتطور، تبدأ عند شخص كهذا قاعدة أبدية من الشجاعة والإقدام بالنمو و التطور و تبدأ الطاقة الحيوية والقدرة بالإشراق لدينه .

منذ عدة مئات من الأعوام حاول اليابانيون إنشاء إنسان جديد... على هذا الإنسان أن يكون محارباً شرساً و تقياً في نفس الوقت و أسموه بالساموراي، قد يكون مستغرباً فما علاقة المحارب بالراهب أو رجل الدين؛ كيف من الممكن أن تدرس الجوجيتسو، الجيدو و فنون كل من المصارعة، المبارزة والرماية في المعابد التي مهمتها تعليم التأمل ؟!

لكن و بالطبع كان لذلك أسبابه... فقد توصل المتأملون اليابانيون و ببطء إلى استنتاج مفاده عندما لا تتوفر إمكانية تطوير الشجاعة و القوة في حياة السائل أو المريد فلا يمكن أن ينمو عنده سوى مركز العقل، يمكن له أن يصبح باحثاً أما بخصوص المراكز العميقة فلن يتمكن من سوى الترديد الببغاوي، لذلك توجب عليهم تعليم السيف و السهم في المعابد.

قدم أحدهم إلى أوشو يحمل تمثالاً و قال « أهداني أحدهم هذا التمثال في اليابان لكنني لم أعلم أي نوع من التماثيل هو »... كان تمثالاً لأحد محاربي الساموراي، ثم أجاب أوشو « لا يمكننا أن نفهم لأننا و عبر آلاف السنين عملنا لاختلاق فهم خاطئ.»

كان التمثال لمحارب يحمل في إحدى يديه سيفاً مجرداً وقد أضاء لمعان السيف الجهة المطابقة من وجه المحارب فبدا بقمة

الشجاعة و البأس، أما في اليد الأخرى فقد كان هناك مصباح سقط نوره على الجهة المطابقة من وجه المحارب الذي بدا وكأنه وجه المسيح أو بوذا... السيف في يد و المصباح في أخرى شيء لم يفهم لأنه غير مألوف فقد اعتدنا على حمل أحدهما فقط.

في الحقيقة وحده من يحمل في إحدى يديه سيفاً لامعاً يمكنه أن يحمل في الأخرى مصباحاً مضاءً... الضعيف وحده يجد نفسه مضطراً لاستعمال السيف أما من تصبح كامل حياته كالسيف فلا حاجة له به... لا تكن مخدوعاً و تعتقد بأن كل من يحمل سيفاً سيقتل به أو يجرح... لا يقتل إلا من يخاف على نفسه من القتل.

لا ينتفع بنور مصباح السلام إلا من ولد في حياته سيف من الشجاعة؛ إلا من ولد فيه سيف من الطاقة و القوة.

يخضع عالمنا و إلى الآن لأحدى حالتين... إما أن يحمل الإنسان مصباحاً فقط فيبقى في قمة الضعف و لا يستطيع الدفاع عن مصباحه إذا ما قدم أحدهم و أطفأه؛ بل لا يستطيع سؤاله لماذا يفعل ذلك... و تقتصر ردة فعله الانتظار حتى ذهاب المعتدي ليتمكن من إيقاد المصباح ثانيةً أو أنه يبقى في الظلمة، و في

الحالتين لا داعي ليتحمل أعباء المقاومة فالقوة غير موجودة ليحمي بها المصباح.

أما الحالة الثانية فهي رمي المصباح جانباً و الاحتفاظ بالسيف وحده و الشروع باستخدامه... تبقى هذه الفئة بغياب المصباح متخبطة في الظلمة و لا تعلم أتقتل عدواً أم صديقاً و يسمى الحديث عن إعادة إيقاد المصابيح برأيهم تفاهة و يقولون «يمكننا أن نصنع سيفاً آخر بنفس المعدن الذي نصنع منه مصباحاً و لسنا مضطرين للإسراف باستهلاك الزيت، فالحياة صناعة سيوف و استخدامها» يستخدم أهل الغرب سيوفهم في الظلمة و يجلس أبناء الشرق أمام مصابيحهم دون سيوف والجميع يبكي... لم يتمكن العالم من إنشاء إنسان صحيح مكتمل يمكن أن نقول عنه إنسان متدين؛ سيف حي ومصباح سلام.

عوامل ثلاثة نحو القمة

كيف يمكن للإنسان أن يتمركز في مركزية وجوده الحقيقية، كيف له أن يختبر ذاته و كيف له أن يحقق ذاته ؟ كيف يجب أن يبدأ الإنسان حياته من مركز السرة، كيف يجب أن يتمركز في نفسه الحقيقية؛ في وجوده ؟ ... في الحقيقة هناك ثلاثة عوامل هامة تتمكن من خلالها الطاقة الكامنة والثابتة في السرة من الاستيقاظ لتمكن الإنسان من اليقظة ومن اختبار وعي جديد مختلف عن الجسد.

هذه العوامل الثلاثة هي: العمل أو الجهد العضلي الصحيح، النظام الغذائي الصحيح و النوم الصحيح... لا يمكن لمن لا يتمتع بهذه العوامل أن يكون متمركزاً في السرة، وفي الحقيقة فقد فقدنا جميعنا تقريباً حساسيتنا و اتصالنا بهذه العوامل.

الإنسان هو الصنف الحي الوحيد الذي يعتبر نظامه الغذائي غير مسبق التحضير أو غير قابل للتنبؤ، بينما تحدد الحاجات الجسدية و الطبيعة الخاصة لكل حيوان ما الذي يجب أن يأكله و ما الذي يجب أن يمتنع عنه؛ كما تقرر كيف عليه أن يأكل و تقرر أيضاً متى عليه أن يأكل و متى عليه أن

يتوقف... أما الإنسان فيعتبر غير محدد تماماً فلا تخبره طبيعته، وعيه أو استيعابه العقلي و لا تجبره بشيء مما سبق ونتيجة لذلك تعددت و تنوعت اتجاهات الحياة لكل إنسان، و لكن لو كان هناك القليل الإضافي من بعض اليقظة والإدراك؛ لو استطعنا إضافة القليل جداً من الذكاء و الوعي ولو استطعنا أن نفتح أعيننا بمقدار إضافي ضئيل لما وجدنا أي صعوبة في الانتقال إلى نظام غذائي صحيح، إنه سهل للغاية، بل لا يوجد ما هو أسهل من ذلك... يمكن تقسيم هذا النظام الصحيح إلى قسمين.

في البداية، ما الذي علينا تناوله و ما الذي علينا تجنبه... تتكون أجسادنا و كما نعلم جميعاً من مجموعة من العناصر الكيميائية، و تعتمد كامل عملياتنا الحيوية على التفاعلات الكيميائية... فعلى سبيل المثال إذا تناول أحدنا بغض الكحول فلا بد لجسده أن يبدي بعض التأثرات المقابلة – يصبح ثملاً وخارجاً عن الوعي... مهما كان الشخص سليماً و مهما كان هادئاً و مستقراً فلا بد لجسده أن يتأثر بكيميائية السموم والمسكرات؛ مهما كان أحدنا قديساً أو تقياً لا بد له من الموت إذا دخل جسده سم مميت .

قضى أوشو مسموماً و مات غاندي بالرصاص، لا تعرف الرصاصة ما إذا كان الجسد الذي أمامها لقديس أم لكافر ولا تعرف قارورة السم ما إذا كان الجسد الذي يتناولها لأوشو أو لي مثلاً، لا تستطيع السموم و الأطعمة أن ترى من أنت وماذا تكون فلها وظيفة واحدة محددة: تدخل الجسد و تبدأ التدخل بكيميائيته، وعلى ذلك سيبدأ الطعام السام فور تناوله القيام بدوره المؤذي محدثاً اضطرابات بالوعي و بالجسد على حد سواء... و على ذلك أيضاً أي نوع من الأطعمة يدخل الإنسان في أي نوع من اللاوعي؛ في أي نوع من الاهتزاز و الخطر و في أي نوع من الاهتزاز وعدم التوازن هو طعام مؤذ و يبلغ هذا الأذى أشده عندما تصل التأثيرات إلى السرة.

من المفيد هنا أن نذكر بأن بعض مبادئ الطب الطبيعي تستخدم في بعض عملياتها عصابات الطين، الأطعمة النباتية ولا سيما أطعمة الحنطة الكاملة، الأشرطة القماشية المبلولة بالماء وحمامات الماء لعلاج الجسد... إن تأثير كل من عصابات الطين، أشرطة الماء و الحمامات و طريقة استجابة الجسد لها قد لا تكون معروفة لدى العاملين في الطب الطبيعي و لكن تأثيرها الحقيقي و الفعلي على الطاقة الثابتة في السرة و التي تحدث تأثيرات في جوانب الحياة كافة عند تحررها.

و لكن يظن العاملون في العلاج الطبيعي أن ما يحصل عليه الإنسان من فوائد تلك العصابات ناتج عن التأثير المفيد للطين، الماء و الأقمشة الرطبة على المعدة... لا يا إخوتي إن الفوائد ناتجة عن تحرر الطاقة الكامنة في مراكز السرة.

يبدأ مركز السرة بالركود و السبات البطيء إذا تعرض للإساءة كما يحدث مثلاً عند استخدام نظام غذائي خاطئ ثم تصبح طاقته أضعف، بعدها و ببطء تدريجي أيضاً يبدأ هذا المركز بالسبات الفعلي حتى يصله تقريباً لنصل إلى مرحلة نصبح فيها غير قادرين غلى تحسس وجوده... نستطيع عندها تحسس مركزين فقط، أولهما الدماغ حيث الأفكار في حركة دائمة و ثانيهما القلب حيث العواطف و الانفعالات في حركة دائمة، أما أي اتصال بمستويات أعمق فهو غير موجود للأسف... و بالتالي كلما كان نظامنا الغذائي أبسط كلما قل عبؤه الثقيل على الجسد وكلما أصبح ذا جدوى و فائدة في رحلتنا الداخلية.

على النظام الغذائي الصحيح ألا يكون ساماً و ألا يدخلنا في متاهات المخاطر كما يجب ألا يكون ثقيلاً... إذا شعرت ببعض الكسل و التثاقل بعد تناول وجبتك فاعلم أنك تتناول الطعام غير الصحيح.

يقول Kenneth Walker وهو طبيب معروف في سيرته الذاتية أنه ومن تجربته الطويلة يمكن القول بأن نصف ما يتناوله الناس من طعام يملأْ معداتهم و النصف الآخر يملأ معدات الأطباء، إذا استطاع كل منا تخفيض كمية طعامه إلى النصف فلن يكون بحاجة للمرض أو للطبيب... و نستذكر هنا قول الحبيب محمد ثلث لطعامك و ثلث لشرابك و ثلث لنفسك.

يمرض البعض لأنهم لا يحصلون على الطعام الكافي و يمرض البعض لأنهم مفرطون في الأكل... يموت البعض جوعاً و يموت البعض من الإفراط في الأكل لكن عدد الذين يموتون جوعاً أقل كثيراً من الفئة الأخرى، و لو أراد أحدنا الصيام المتواصل فلا خطر على حياته لثلاثة أشهر على الأقل، أما في حالة الإفراط لثلاثة أشهر فلا يوجد أي احتمال للنجاة.

هناك في هذا العالم ما يشعرك بالاستغراب الفعلي... كان لدى نيرون طبيبين كل ما عليهما هو جعله يتقيأ بعد كل وجبة، وبالتالي يمكنه الاستمتاع بتناول الطعام ما بين خمس عشرة إلى عشرين مرة على الأقل كل يوم، لذلك كان يتناول وجبته ثم يتناول بعدها دواء الإقياء ليتمكن من الأكل ثانية... إن ما نقوم به نحن اليوم لا يختلف كثيراً.

تمكن نيرون كونه إمبراطوراً من الحصول على مساعدة دائمة للتقيؤ في قصره، أما نحن كأناس عاديين فتتوفر الخدمة الطبية في جوارنا القريب؛ أعد نيرون العدة ليتقيأ كل يوم أما نحن فنعد العدة للتقيؤ كل شهرين أو ثلاثة حيث نواظب على النظام الغذائي الخاطئ و نراكم كل أنواع الأشياء في أجسادنا ثم نذهب إلى الطبيب ليعطينا المنظفات لنعاود الكرة من جديد، و عليه يمكن اعتبار نيرون رجلاً حكيماً فقد كان ينظف معدته بالمنظفات الكيماوية كل يوم أما نحن فلا نستطيع ذلك إلا كل عدة شهور... لو قدر لنا أن نكون أباطرة كنيرون سنفعل مثله تماماً، نسخر منه من جهة و لا ندرك من جهة أخرى أننا لا نختلف عنه جوهرياً بشيء.

لقد أصبحت مواقفنا من الطعام خطيرة بالفعل و أثبتت أنها مكلفة للغاية، لقد قادتنا إلى حالة أصبحنا معها بالكاد نبدو جثثاً فيها القليل من الحياة، أصبحنا نبدو وكأننا نتناول الطعام للحصول على المزيد من الأمراض لا للحفاظ على صحة جيدة... من المدهش حقاً أن تصبح للطعام مهمة جعلنا نمرض كما لو أن مهمة الشمس عندما تشرق كل صباح هي نشر الظلمة في العالم، مدهش و غريب ما يحصل بالفعل.

المرحلة الأولى إذاً فيما يخص النظام الغذائي الصحيح هي معرفة أحدنا لما يأكل و لما لا يأكل... من الضروري و الحتمي بالنسبة لمريد التأمل أن يدرك و بكل وعي لما يأكل و كم يأكل و تأثيرات ذلك على جسده... إذا اختبر أحدنا بوعي ويقظة لعدة أشهر فقط فسيدرك و بيقين نظامه الغذائي المناسب و الذي يمنحه الطمأنينة و السلام، المسألة في غاية البساطة لكننا لم نعرها أي اهتمام حتى وصلنا لما نحن عليه من ضياع.

الشيء الثاني حول النظام الغذائي هو حالتنا الفكرية والنفسية أثناء تناول الطعام وهذا أكثر أهمية من نوعية الطعام، حيث يتغير تأثير الطعام نفسه علينا إذا كنا نتناوله بفرح و سعادة عن تأثيره إذا كنا نتناوله مسكونين بالحزن و القلق ... إذا تناولت أفضل أنواع الأطعمة بحالة غير طبيعية من القلق والخوف مثلاً فسيكون له تأثيرات سامة بعض الشيء، وبالعكس إذا تناولت شيئاً من طعام غير مناسب بمزاج من الفرح و السرور فقد لا يظهر تأثيره السام على جسدك... وعليه كن حذراً فحالتك النفسية شديدة الأهمية أثناء تناول الطعام.

قدم بافلوف طعاماً لقطة و راقب ما يحدث في معدتها بأشعة X حالما تناولت القطة الطعام بدأت المعدة بإفراز العصارات

الهاضمة لتبدأ بذلك عملية الهضم، و في تلك الأثناء أحضر المجرب كلباً إلى نافذة غرفة التجربة، نبح الكلب عند رؤية القطة مما سبب لها حالة من الذعر فأظهرت آلة X توقف إفراز العصارات الهاضمة في المعدة وبالتالي توقف عملية الهضم ثم انقبضت المعدة، تم إبعاد الكلب لكن المعدة لم تعد لحالتها الطبيعية و لم تعاود إفراز العصارات إلا بعد مضي ست ساعات تحول الطعام خلالها إلى كتلة صلبة غير قابلة للهضم تقريباً.

و الآن ماذا عنا نحن البشر ؟ نحيا بحالة من التوتر لأربع وعشرين ساعة في اليوم، عجيب و مدهش كيف تتمكن معداتنا من القيام بعملها و كيف نستطيع أن نبقى أحياءً... علينا أن نفيض بالفرح و السلاسة أثناء تناول الطعام.

تعمر موائدنا المنزلية و غير المنزلية بشتى الأصناف.... تنتظر الزوجة طيلة اليوم و تعد الطعام حتى قدوم الزوج و لا تعلم أنها تصب كل ما استجمعته من مشاعر و عواطف مرضية بصحن الزوج الذي أمضى هو الآخر يومه بالتوتر و القلق... يا لها من وجبة مدهشة بالفعل !!!

يجب ألا يكون تناول الطعام حادثة ثانوية ننهيها بسرعة ونمضي بل يجب أن يكون ذا مضمون تعبدي؛ يجب أن يكون كالدخول إلى المعبد أو الركوع للصلاة؛ يجب أن يكون

كالجلوس للعزف على القيثارة أو للغناء، لا بل هو أهم من كل ذلك فأنت تقدم طعاماً لجسدك الذي هو معبدك لذلك عليك أن تتناوله بحالة من الفرح العظيم و الخب العظيم.

كلما تناولت طعامك بفرح أكبر، بسرور أعظم و بتوتر أقل أصبح هذا الطعام صحيحاً أكثر.

لا تعني الشدة في النظام الغذائي ألا يكون نظامك نباتياً فقط، بل من الشدة أيضاً تناول الطعام بحالة من الغضب، القلق و المعاناة بل أنها من الشدة كما لو كان أحدنا يأكل لحم كائن آخر.

الشيء الثاني إذاً في النظام الغذائي السليم هو تناول الطعام بحالة من الفرح، السلام و السكينة، إذا لم تكن في مثل هذه الحالة فمن الأفضل ألا تأكل و أن تنتظر قدومها... عندما يصبح الفكر مستعداً تماماً... تناول وجبتك، ولكن إلى متى سيبقى الفكر في حالة عدم استعداد ؟ إذا توفر الوعي الكافي لانتظار استعداد الفكر فلن تدوم تلك الحالة من عدم الاستعداد لأكثر من يوم واحد، لكننا و للأسف لا نعير هذا أي اهتمام أو مبالاة... لقد جعلنا من تناول الطعام حادثة آلية فعلى أحدنا الإلقاء بالطعام في جسده باستمرار حتى تحولت إلى عملية فكرية و نفسية و ليست جسدية ... لا... هذا لا يجوز.

على المستوى الجسدي يجب أن يكون الطعام صحياً، يجب ألا يتسم النظام الغذائي بالقسوة و الشدة كما يجب عدم اقتحام الموائد بشوق و نهم، أما على المستوى النفسي فيجب أن يكون الفكر بحالة من الفرح الغامر و السرور و أخيراً على المستوى الروحي يجب أن يسودك شعور بالامتنان و الشكر... من شأن هذه الأمور الثلاثة أن تجعل من طعامنا نظاماً غذائياً صحيحاً.

عند تناول الطعام يجب أن نتحلى بشعور مثل « بما أنني حصلت على طعام هذا اليوم فأنا في غاية الشكر و الامتنان لأنني حصلت على يوم إضافي أبقى فيه حياً؛ أنا فعلاً في غاية الامتنان استيقظت في صباح هذا اليوم حياً مرة أخرى؛ قدمت لي الشمس نورها مرة أخرى؛ أستطيع رؤية القمر مرة أخرى... أنا حي ثانية... لم يكن من الضروري أن أكون حياً اليوم، كان من الممكن أن أكون مع الأموات لكن الحياة منحت لي، لم أحصل عليها بل منحت لي بكامل حريتها...» من أجل هذا على الأقل يجب أن يفيض قلب أحدنا بالامتنان و الشكر... نأكل الطعام، نشرب الماء و نتنفس، ألا يكفي هذا للشعور بالامتنان؟ ألا يجب أن نشعر بالامتنان تجاه الحياة و العالم؛ ألا يجب أن نشعر بالامتنان و العرفان تجاه الكون و الطبيعة؛ ألا يجب أن نشعر بالعرفان و الشكر تجاه الله ؟ يجب أن نتحلى

بشعور كهذا... عندما أحصل على طعام يوم جديد فأنا أحصل على يوم آخر من الحياة، أرى الشمس و القمر ثانية و أرى الورود تتفتح... أنا حي من جديد .

قال Rabindranath قبل يومين من وفاته « إلهي، كم أنا ممنون ! إلهي، كيف لي أن أعبر عن شكري ؟ أعطيتني هذه الحياة و لم أكن بحال من الأحوال أستحقها ، منحتني النفس دون أن أملك أي حق به و منحتني القدرة على تذوق الجمال والفرح الغامر الأمر الذي ما كان لي أن أحلم به ...أنا ممنون بالفعل؛ أنا مغلوب علي أمام نعمك ... هذه الحياة هي حياتك ومن الممكن أني واجهت بعض الآلام و المعاناة بها لكني على يقين بأنه خطأي، لأنها حياتك و هي مليئة بالجمال و ما سوى الجمال فيها فهو خطأي؛ إلهي، إذا وجدتني أهلاً بهذه الحياة فأسألك ألا تعتقني منها بل أسألك أن تعيدني إليها مراراً وتكراراً... هذه الحياة هديتك الجميلة و أنا في غاية الشكر بالفعل. ». يجب أن نتحلى بهذا الشعور من الامتنان تجاه كامل مظاهر الحياة و لا سيما الطعام و عندها فقط يتحول نظامنا الغذائي إلى نظام صحيح.

العامل الثاني و هو العمل الصحيح أي العمل الجسدي و الجهد العضلي الصحيح و الذي هو في الحقيقة عماد حياتنا لكنه تحول و للأسف إلى عامل يسبب لصاحبه بعض الحرج.

كتب Albert Camus متهكماً في إحدى مقالاته « سيأتي يوم يطلب فيه الناس من الخدم ممارسة الحب عنهم... إذا أحب أحدنا أحدهم سيطلب من الخادم الذهاب و ممارسة الحب نيابة عنه، لم يتبقى سوى هذه الوظيفة لم نعهد بها للآخرين... و ما هو الصعب في ذلك ؟ إن من لا يستطيع استئجار خادم يؤدي له أعماله فسيجد نفسه مضطراً بدافع الفقر للذهاب بنفسه و ممارسة الحب !!! ».

إن هذا ممكن لسبب واحد، في الحياة العديد من الأمور ذات القيمة و الدلالة عندما نقوم بها بأنفسنا ولسنا مدركين لما نفقده عندما نفقد دلالات و قيم تلك الأشياء.

فقدنا قوة و حيوية حياتنا لأن كلاً من جسدنا و وجودنا خلق بحاجة لمقدار محدد وحتمي من العمل الجسدي و ابتعدنا عنه كلياً بغالبيتنا أو نتمنى ذلك ... يعتبر هذا النوع من العمل جزءً أساسياً و جوهرياً من عملية استيقاظ الوعي الكامل و الطاقة في الإنسان.

كان Abraham Lincoln ينظف حذاءه صباح أحد الأيام عندما قال له أحد أصدقائه و قد جاء لزيارته « لينكولن ماذا تفعل، أتمسح حذاءك بنفسك ! ».

فأجاب « مدهش ما تقول، أتمسح أحذية أناس آخرين ؟ أنا أمسح حذائي بنفسي، أتمسح أنت في العادة أحذية أناس آخرين؟ ».

أجاب الصديق « بل العكس، آخرون يمسحونها لي. ».

فقال لينكولن أخيراً « أن تمسح أحذية الآخرين أفضل بالنسبة لك من أن يمسحوها لك.».

ما معنى ذلك ؟ لقد فقدنا اتصالنا المباشر بالحياة، إن صلتنا الفعلية بالحياة هي تلك التي تأتي مع العمل الجسدي. رأى Confucius عندما ذهب لزيارة إحدى القرى منذ ثلاثة آلاف عام في إحدى الحدائق مزارعاً كهلاً و ابنه يسحبان الماء من بئر... يعتبر هذا النوع من الأعمال شديد القسوة على رجل بهذا السن حتى بمساعدة ابنه.

احتار كونفوشيوس و تساءل فيما إذا كان هذا الرجل لم يعلم بعد بأن الثيران والخيول أصبحت تستخدم لسحب المياه من الآبار بينما لا يزال يفعل هذا بنفسه... إنها طريقة قديمة بالفعل! لذلك ذهب إلى الرجل وقال « ألا تعلم أيها الصديق بأن هناك

اختراعاً جديداً: يسحب الناس الماء من الآبار بمساعدة الخيول و الثيران، لم تقوم بهذا بنفسك ؟ ».

فقال الرجل « تحدث بهدوء و بصوت خافت، ما تقوله لا يعنيني لكن كل ما أخشاه أن يسمعه ابني الشاب.»

عاد كونفوشيوس و سأل عن معنى ما يقوله الرجل الذي أجاب « أعلم بهذا الاختراع، لكن من شأن جميع الاختراعات التي كهذه أن تبعد الإنسان عن عمله الجسدي وعندما يبتعد أحدنا عن عمله الجسدي تنقطع صلته بالحياة كاملة .»

العمل الجسدي و الحياة شيئان مترادفان؛ الحياة و العمل الجسدي معنيان مختلفان لكلمة واحدة، لكننا أصبحنا أصبحنا نسمي محظوظاً كل من لا يجد نفسه مضطراً لأداء أعمال كهذه و نسمي غير محظوظ من يجد نفسه مضطراً... يعود و نوعاً ما نشوء مثل هذه الأفكار لتخلي فئة عن تلك الأعمال مما دفع آخرين ليجدوا أنفسهم مطالبين للقيام به... المطلوب هو التوزيع الصحيح لا الإفراط و لا القليل القليل أو غير الموجود فكلاهما بلاء... كلما أقبلت على العمل الجسدي برضىً أكبر؛ بفرحٍ أكبر و بشكر أعظم ستجد أن طاقة الحياة عندك بدأت تسارع هبوطها من الدماغ لتقترب من

السرة، لا حاجة للدماغ في العمل الجسدي؛ لا حاجة للقلب في العمل الجسدي، إن مصدر الطاقة اللازمة لذلك هو السرة.

بالتزامن مع نظام غذائي صحيح من الجوهري التزام فترة يومية من العمل الجسدي... من غير المجدي أن يقول أحدنا مثلاً « إن استئجار فقير يؤدي لنا أعمالنا منفعة له »، ومن غير المجدي القول أيضاً « في الذهاب إلى القرية و العمل بالزراعة فائدة للفلاحين »، كم أنه من غير المجدي القول أخيراً « إذا قمت بأداء عمل جسدي لأنك تؤدي خدمة اجتماعية » جميع هذه المقولات خاطئة فأداء العمل الجسدي ضروري لك وجدك ومفيد لك وجدك .

عند تقاعده ذهب أحدهم إلى Churchill فوجده يعمل في حديقة منزله و يزرع بعض النباتات، سأل الزائر تشرشل بعض الأسئلة السياسية فأجاب « وقت السياسة قد انتهى، إذا كنت عازماً على سؤالي فاسأل عن أحد أمرين، أولهما الكتاب المقدس الذي أقرأوه في البيت و ثانيهما الزراعة التي أعمل بها الآن وهنا... زمن السياسة قد ولى و جاء زمن العمل و الصلاة.»

قد يكون تشرشل غريباً في كلامه لكن تتابع العمل والصلاة هنا ليس عديم المعنى، العمل الجسدي و الصلاة معنيان لكلمة واحدة؛ إنهما مترادفان... في اليوم الذي يصبح فيه العمل

الجسدي صلاة و تصبح الصلاة فيه عملاً جسدياً نكون قد حققنا و توصلنا إلى العمل الجسدي الصحيح .

من الضروري و الحتمي الاحتفاظ بمقدار مهما كان ضئيلاً من العمل الجسدي لكن و للأسف لم نعر أي اهتمام لهذا ، حتى سانيو الهند الذين اعتادوا على حياة الخطر و المغامرة كفوا فيما بعد عن مزاولته... لم يعد و للأسف من الضروري البحث عن هذا العمل فقد اتخذ الاتجاه الفكري منحىً مختلفاً: توقف الغني عن ممارسة العمل الجسدي لأنه يملك مالاً يدفعه وتوقف الساني وما شابهه من ضحايا التفسير الخاطئ عن ممارسته لأنه لا علاقة له بالعالم وكانت النتيجة ابتعاد طبقتين اجتماعيتين محترمتين عن هذا العمل، أما البقية الباقية من الطبقات و التي هي بحاجة لهذا النوع من الأعمال فقد وجدت نفسها و ببطء تدريجي أقل احتراماً.

أما بالنسبة لسائل و مريد التأمل فللعمل الجسدي أهمية ودلالة خاصة، لا لأنه يجب أن يجني شيئاً مقابله بل يزداد تركيز الوعي كلما ازداد العمل بأحد أشكال العمل الجسدي؛ سيبدأ الوعي بالهبوط من الدماغ... لا يشترط إذاً أن يمارس المتأمل عملاً جسدياً منتجاً بالضرورة لكن القليل منه و لو تدريب بسيط ضروري لحيوية و حركة الجسد ، لليقظة التامة

للفكر و للاستيقاظ الكامل للوجود.

هناك احتمال للخطأ أيضاً في هذا الجزء، فالحالة هنا تشبه تماماً حالة النظام الغذائي فإما أن يفرط أحدنا بالإكثار من الطعام أو أن يفرط بالإقلال منه، وكذلك بالنسبة للعمل العضلي فكلا الحالتين المتطرفتين خاطئة... ففي حالة المصارعين و سواهم من هواة الرياضات المجهدة إفراط في الإجهاد و تحميل للجسد بأعباء لا يقوى عليها؛ في هذا اغتصاب للجسد... ربما تنمو بعض العضلات و تزداد قوة لكن المقابل حياة قصيرة في الحالة العامة كما لا يمكن لأي مصارع أن يموت بصحة جيدة، يمكن لاغتصاب الجسد أن يضخم العضلات فيمنحه مظهراً مكتنزاً لكن الفرق شاسع بين المظهر المكتنز و الحياة؛ الفرق شاسع بين أن تكون حياً جسداً و وجوداً وأن تكون متمظهراً بعضلات منفوخة و جسد جميل.

على كل منا أن يحدد اعتماداً على مهارته الشخصية و على جسده مقدار ما يلزمه من عمل جسدي ليحيا بصحة و نضارة... كلما ازدادت كمية الهواء النقي في الجسد يزداد معدل الفرح أثناء التنفس وسيجد أحدنا مزيداً من الحيوية الداخلية قد أشرقت فيه.

كتبت Simon bel في سيرتها الذاتية شيئاً مثيراً بالفعل «عادة ما كنت أعاني من اعتلال شبه دائم حتى سن الثلاثين، فقد كنت أعاني من تدهور صحي و بعض آلام الرأس، ولكن فقط في سن الأربعين أدركت أنني كنت ملحدة حتى سن الثلاثين و لم أستعد صحتي حتى أصبحت موحدة... و بعدها فقط أدركت أن اعتلال وجودي و تدهور صحتي كانا بسبب إلحادي.»

لا يمكن للشخص المعتل أن يفيض بالشكر و الامتنان تجاه الوجود بل سيكون مملوءً بالغضب، و بالتالي لا يمكن لشخص كهذا أن يقبل شيئاً تجاه هذا الوجود... إذا لم يتحقق بحياة أحدنا شيء من التوازن من خلال العمل الجسدي فمن الطبيعي أن يكون في حياة هذا الإنسان شيء من السلبية، الرفض و الغضب تجاه الحياة.

العامل الثالث هو النوم الصحيح... إذا كان العام و العمل الصحيحين قد أصبحا مضطربين فإن النوم الصحيح قد قضى نحبه في أتون الحضارة الإنسانية وكان الشيء الأكثر تضرراً بين ضحاياها... فبعد أن تعرف الإنسان على الضوء الصناعي أصبح نومه غير طبيعي... كلما حصل الإنسان على مزيد من الوسائل و الأدوات ازداد شعوره بأن النوم غير ضروري و بأنه

مضيعةٌ للوقت؛ أي نشعر بأننا في حالة ضياع تام للوقت عندما نكون نائمين !!! لذلك أصبح من الأفضل في معتقداتنا أن ننام أقل، و لم يخطر ببال أحدنا ما للنوم من دور في الوظائف العميقة للحياة .

التقت مجموعتان على عدم أهمية النوم، إحداهما من أناس عاديين أرادت التقليل من النوم الذي نحن بحاجته و الأخرى من الرهبان و رجال الدين ترى في النوم تلك الحالة من اللاوعي حالة مضادة لإدراك الذات و وعيها.

كانت هناك مشكلة إضافية لدى رجال الدين، فقد كان لديهم العديد من الأشياء المكبوتة في لا وعيهم و التي تبدأ بالدخول إلى الأحلام في حالة النوم، لذلك فقد تطورت لديهم حالة من الخوف تجاه النوم، ذلك خشية مطاردة الأشياء التي كبتوها لهم أثناء النهار، فالمرأة التي يراها و يهرب منها إلى الغابة تبدأ تلاحقه في الأحلام، وكذلك المال و حب الشهرة... لذلك تطور لديهم شعور بأن النوم شيء خطير خارج عن التحكم فكان من الأفضل بالنسبة لهم التقليل منه، و نتيجة لذلك اختلقت هذه الفئة شعوراً في العالم بأن النوم مخالف للروحانية... في الحقيقة إنها فكرة في غاية الحماقة.

رأت المجموعة الأولى إذاً أن النوم مضيعة للوقت و كلما بقي أحدنا مستيقظاً كان أفضل... في الحقيقة من يدخل الحساب في كل شيء و يتمادى في إحصائيات غير ضرورية شخص غريب للغاية، فقد احتسب المضادون للنوم معدل النوم الوسطي لدى الإنسان فوجدوه ثمان ساعات يومياً أي ما يساوي ثلث الوقت الكامل، فحسب نتائجهم إذا عاش الإنسان ستين عاماً فإن عشرين منه تذهب للنوم و هي مهدورة و لا يتبقى سوى أربعين عاماً قابلة للإفادة.

ثم أخذوا يحسبون أكثر و أكثر، فحسبوا كم يقضي الإنسان في تناول الطعام و في ارتداء الملابس و كم يقضي في الاستحمام و الحلاقة و غيرها... و بعد أن انتهوا من حساباتهم أثرونا بقولهم أن معظم وقت الحياة يضيع دون فائدة، و عندما طرحوا تلك الأوقات من حياة إنسان يعيش ستين عاماً فإن عشرين منها تذهب للنوم و عدة أعوام تذهب للتناول الطعام وقراءة الصحف و غير ذلك... كل شيء في الحياة مضيعة للوقت... أحدثت نتائج هذه الفئة رعباً في العالم، ثم نصحوا بالابتعاد عن كل ما سبق إذا أراد أحدنا أن يجد بعض الوقت للحياة... من جهة أولى يدعو هؤلاء للتقليل من النوم بحجة أنه غير ضروري و ضياع للوقت، و من جهة أخرى تقول فئة رجال

الدين أنه غير روحي و كلما أنقصنا منه كنا أتقياء أكثر، أما إذا لم ننم على الإطلاق فنحن في تمام القدسية.

أدت أفكار هاتين الفئتين إلى القضاء على القدرة الطبيعية للنوم عند الإنسان مما أدى لاضطرابات و اختلالات في المراكز العميقة للحياة عنده و ابتعادها عن جذورها... قد لا نكون مدركين بأن النقص في النوم هو السبب الخفي وراء العديد من الأمراض و الاضطرابات التي دخلت حياتنا فمن لا يستطيع النوم بشكل جيد لا يستطيع الحياة بشكل جيد، لولا هذه الساعات الثمانية من النوم لما استطاع أحدنا البقاء مستيقظاً في الساعات الست عشرة الباقية، تعيد طاقة الحياة خلال ساعات النوم الثمانية استجماع قواها من جديد، تمنح الحياة لحياتنا من جديد تستقر و تهدأ مراكز القلب و الدماغ كما تتركز وظائف مركز السرة... في ساعات النوم تستعيد اتحادك بالطبيعة و تستعيد اتحادك بالوجود الأمر الذي يبعث فيك الحياة من جديد.

إن أفضل طريقة للتعذيب و قد ابتكرت منذ آلاف السنين هي منع أحدهم من النوم، ولا أظن أنه بالإمكان ابتكار أفضل من ذلك، كما استخدمت هذه الطريقة خلال الحرب العالمية الثانية ... إنه تعذيب يفوق الوصف و يتجاوز الحدود.

كان الصينيون أول من استخدم هذه الطريقة منذ حوالي ألفي عام، فقد عمدوا لإجبار السجناء على البقاء واقفين في زنازين ضيقة بحيث لا يتمكن السجين من الجلوس أو الاستلقاء لا بل لا يستطيع التحرك بأي شكل من الأشكال ثم يقوم السجانون بعد ذلك بصب الماء فوق رأسه نقطة بنقطة ليستحيل عليه النوم و ما هي إلا اثنتي عشرة أو ست عشرة أو بالكثير ثمان عشرة ساعة حتى يبدأ بالصراخ « أخرجوني... سأموت... أنقذوني...» سيجد نفسه عندها مضطراً للاعتراف بكل ما لديه، لا يمكن لأشجع الرجال المقاومة لأكثر من ثلاثة أيام.

كما استخدم هذه الطريقة كل من هتلر في ألمانيا و ستالين في روسيا مع مئات الآلاف، فقط لا تسمح لأحدهم بالنوم ولا يمكنه أن يتعرف على أسلوب أسوأ من ذلك و لا حتى القتل، ذلك لأن النوم وحده قادر على جعلك تعيد استجماع ما فقدت... إذا لم تستطع النوم فستتناقص باستمرار طاقة الحياة عندك دون أن تكون قادراً على تعويض شيء إلى أن تضمحل تلك الطاقة تماماً... نحن في الحقيقة أشبه بالجثث فأبواب الاستزادة و الاستفاضة مغلقة و أبواب الخسارة و الفقدان مشرعة.

النوم إذاً ضروري وجوهري لإعادة الإنسان إلى الحياة و يمكننا القول حقيقة لا يوجد بديل للحفاظ على الصحة النفسية خلال المئة أو المئتي عام القادمة عن فرض نظام ينفذه القانون للنوم.

على السائل و مريد التأمل أن ينظر و يتأكد بأنه ينام بشكل صحيح و كاف، كما عليه أن يتنبه لأمر آخر: للنوم الصحيح مكانته و دلالته المختلفة لأن الجسد بحاجة لأشياء مختلفة منها ما يتعلق بالعمر ومنها ما يتعلق بغيره.

ينام الجنين في الرحم لأربع و عشرين ساعة متواصلة ذلك لأن نسجه و كامل أعضاء جسده في حالة نمو وتطور، ولا يمكن للجسد أن ينمو إلا بحالة من النوم التام وقد يكون الاستيقاظ في الرحم هو السبب في ولادة مقعدين أو أنهم يعانون من العرج أو العمى، من الممكن أن يتوصل العلم إلى حقيقة كهذه.

حالة من النوم العميق و المتواصل في غاية الضرورة بالنسبة للجنين لأن الجسد يتكون و يتطور و لا يمكن اكتمال أي وظيفة أو عمل دونه.

أما بعد الولادة مباشرة فينام الطفل لعشرين ساعة تقريباً لأن الجسد لا زال في حالة نمو وتطور، و بعدها تنقص المدة لثمان عشرة ساعة و بعدها لأربع عشرة... و ببطء تدريجي وحل وصول الجسد للنمو الكامل يتوقف معدل النوم عند ما بين ست إلى

ثمان ساعات و يقل عند كبار السن ليتوقف عند أربع أو خمس ساعات فقط أو حتى ثلاث لأن النمو قد توقف و لم نعد بحاجة للنوم الطويل، أما إذا نام المتقدم في السن بنفس معدل نوم الطفل سيكون موته صعباً ، من أجل موت هادئ و مريح يجب أن يكون النوم قليلاً و من أجل الحياة يجب أن يكون عميقاً ... و عليه من الخطورة أن يطالب المسنون الأطفال و الشبان باتباع أسلوبهم في النوم فلكل حاجته.

أكدت الأبحاث أنه لا يمكن أن توجد ساعة فضلى محددة للاستيقاظ، فقد تكون هناك مثل تلك الساعة لشخص محدد و لكن لا يمكن تعميم ذلك... توجد خلال الساعات الأربع و العشرين ثلاث ساعات تنخفض خلالها درجة حرارة الجسد، هذه الساعات هي ساعات النوم الأعمق و يجب عدم إيقاظ الإنسان خلالها و إلا اضطربت طاقته طوال اليوم.

عادةً ما تكون هذه الساعات الثلاث بين الثانية و الخامسة صباحاً لكنها حالة لا تعمم أيضاً، فهناك أجساد تبقى درجة حرا رتها منخفضة حتى السادسة صباحاً و أخرى تبقى حتى السابعة و بعضها يبدأ باستعادة حرارته الطبيعية عند الرابعة فجراً... لا يجوز الاستيقاظ إذاً إلا عندما تبدأ درجة حرارة

الجسد بالارتفاع و استعادة حالتها الطبيعية و إلا سيعاني الشخص من الاضطراب و بعض التأثيرات الضارة الأخرى.
الحالة الطبيعية العامة للاستيقاظ هي مع شروق الشمس لأن حرارة الأجساد تبدأ عندها بالارتفاع لكنها حالة لا تعمم فلكل جسد وقت محدد و سرعة محددة لارتفاع درجة الحرارة... و عليه يجب على كل منا معرفة عدد الساعات التي يحتاجها من النوم و معرفة الوقت الأنسب للاستيقاظ ولا حاجة و لا ضرورة لاتباع أي قاعدة أو نصيحة. كقاعدة عامة للنوم الصحيح... كلما كان النوم أعمق وأطول كان أفضل، لكنني أقول النوم و ليس الاستلقاء في السرير وفقدان الوعي فهما أمران مختلفان تماماً عن النوم. يجب أن تكون قاعدتك هي الاستيقاظ عندما تجده صحيحاً، صحياً ومناسباً لك، والحالة العامة هي الاستيقاظ مع الشروق لكن قد لا يكون هذا هو المناسب لك و لا داعي عندها للشعور بأي خوف و قلق و لا داعي أيضاً للشعور بالخطأ أو بالخطيئة فلا علاقة لكونك إنسان جحيم أو جنة بساعة استيقاظك، و لكن يرتبط النوم الصحيح ارتباطاً حميماً بحياتك الروحية و بكونك روحياً أم لا. على كل منا إذاً معرفة قواعده الفضلى؛ يستطيع كل منا ويجب أن يستنتج خلال ثلاثة أشهر من التفكر في نومه

وطعامه ما هو الأفضل و الأنسب له. على مثل هذه القواعد أن تكون شخصية تماماً فلا وجود لشخصين متماثلين و لا وجود لقاعدة مشتركة يمكن تطبيقها على آخرين، أما محاولة ذلك فقد تحمل بعض التأثيرات السلبية... لكل منا فرديته و تميزه فأنت لا تشبه إلا نفسك وبالتالي لا يمكن لأية قاعدة أن تكون قاعدة لك ما لم تعلم بنفسك ما هو المناسب لك. إن القواعد الجاهزة و المسبقة الصنع في هذا المجال و غيره من كتب، مخطوطات و معلمين خطرة للغاية، فهي تحدد لك كيف تنام، ماذا تأكل و متى تستيقظ... قد يكون هذا مفيداً للإحاطة بالخطوط العريضة للموضوع و لكن يجب أن تكون حياتك ملكاً لك وحدك و وحدك من يدير شؤونها... وينطبق ذات الشيء على الرحلة الروحية الداخلية فعلى كل إنسان إيجاد مساره التأملي و دربه الروحية، فلا توجد طريق مسبقة الصنع لتذهب و تسير عليها و لا وجود للسراط المستقيم إلا في قلبك... الدرب الروحية رصيف ضيق و لا يتسع لاثنين، لكن رصيفك غير موجود وعليك فتجه بمسيرك و يتواصل ما دمت سائراً عبره، و كلما سرت أكثر تعلم أن هناك المزيد لتقوم به.

مصالحة الفكر

تحولت أدمغتنا إلى جراح نازفة؛ أصبحت أفكارنا ثقوباً سرطانية و لم يعد العقل عندنا مركزاً سليماً و متوازناً لذلك توجه كامل تركيزنا و اهتمامنا إليه... من المؤكد أنك مدرك لحقيقة أنه عندما يعتل عضو من جسد أحدنا فإن كامل اهتمامه ينصب على ذلك العضو.

يتوجه اهتمام أحدنا نحو ساقه عندما يشعر بألم فيها و إلا فهو ينسى بأن في جسده ساق، يشعر أحدنا بأن له يداً فقط عندما تجرح تلك اليد و قبل ذلك كأنه لا وجود لمثل تلك اليد... و الآن، لماذا يتركز كامل اهتمامنا و لأربع و عشرين ساعة يومياً على الدماغ ؟ و الجواب لأنه معتل و مريض تماماً.

كلما أصبح الجسد أكثر صحة قل شعورنا به... لا يشعر الإنسان إلا بالعضو المصاب من جسده، و لا نشعر الآن كإنسانية إلا بالدماغ الذي لا يستطيع وعينا الدوران حول شيء سواه و لا يستطيع رؤية و تمييز سواه... ظهر جرح دام في أدمغتنا وما لم نستطع التحرر منه؛ ما لم نستطع التحرر من هذه الحالة الفكرية الشاذة لا يمكن لأي منا الاقتراب من مركز الحياة.

علينا في البداية إذاً أن نلم بوضوح و جلاء بحالة عقلنا... في عزلة تامة حاول و لعشر دقائق أن تسجل بكل أمانة وموضوعية على ورقة كل ما يراودك من أفكار، كن واثقاً أنك لن تكون قادراً على إظهار تلك الورقة حتى أمام أقرب أصدقائك المقربين... لا يمكنك و لا يمكن لأي كان أن يتوقع منك ما كتبت لأنك ستجد في صحيفتك من تبعثر و حماقات تناقضات تجعلك تتهم نفسك بالجنون.

ستصاب بالدهشة إذا أنت دونت لعشر دقائق بدقة و موضوعية كل ما يحدث في فكرك، و ستبدأ بالتساؤل فيما إذا كنت لا تزال سليماً أو أصبت بالجنون... لم نعتد على إلقاء نظرة ولو خاطفة مدة عشر دقائق لنعلم ما الذي يدور في أفكارنا أو أننا لا ننظر هناك لأننا نعلم ما الذي يجري في تلك الأعماق.

ربما يكون الخوف هو السبب... يخشى بعضنا الوحدة و تراه في بحث دائم عن التجمعات -يريد لقاء الأصدقاء؛ يذهب إلى الأندية أو أي شيء آخر، وإلا ستراه يستمع للراديو أو يشاهد التلفاز أو يقرأ الصحف أو غير ذلك من الخرافات المهم ألا يكون وحيداً... في اللحظة التي نصبح فيها وحيدين نبدأ بالتعرف على حالتنا الحقيقية.

عندما يتواجد الآخر نمضي بعلاقتنا معه و لا نعلم عن أنفسنا شيئاً، و ما البحث عن الآخر إلا بحث عن الفرصة المناسبة للهروب من أنفسنا... السبب الوحيد الذي يجعلنا نستمتع و نهتم بصحبة الآخرين هو خوفنا من أنفسنا و معرفتنا اليقينية بأننا عندما نتعرف على تلك الأنفس تمام المعرفة لن نستنتج سوى أننا مجانين بالفعل لذلك ترانا في بحث دائم عن شركاء، أصدقاء أو تجمعات و مجتمع.

يخشى الإنسان الوحدة لأنه في الوحدة فقط يرى انعكاساً لحالته الحقيقية؛ يرى الإنسان في الوحدة وجهه الحقيقي وهنا الرعب و الخوف... لذلك تراه من الصباح حتى المساء لا يدع طريقة إلا و يتبعها للهروب من نفسه التي لا يريد مواجهتها... يخشى الإنسان فعلاً أن يرى وجهه الحقيقي.

و تحقيقاً لهروب أفضل من تلك الحقيقة بدأ الإنسان باختراع وسائل مساعدة... كلما أصبحت حالة أفكارنا أسوأ أسرعنا بابتكار وسائل أكثر للهروب من أنفسنا، فقد ازداد ابتداع الإنسان للخرافات في القرن الأخير أكثر مما كان عليه في أية مرحلة تاريخية سابقة و ما دور السينما ومحطات الإذاعة والتلفزيون إلا أمثلة عن ذلك... يزداد إنساننا تدريجياً اضطراباً و قلقاً و يزداد بحثه عن التسلية و الترفيه و التي هي في الحقيقة

مضيعة للوقت؛ يزداد و عبر العالم بالتزامن مع ما ندعوه حضارة إنتاج و استخدام العقاقير الطبية و لاسيما في كل من أمريكا و أوروبا ؛ إن الجهود لابتداع أدوية جديدة هي في ذروتها و السباق لابتداع وسائل ناجعة لتخليص الإنسان من حقيقته مستمر و لولا ذلك لكنا في ورطة حقيقية.

ما هو السبب الحقيقي الكامن وراء كل هذا ؟ لماذا نريد أن ننسى أنفسنا و لم نحن تواقون للفرار من الحقيقة ؟ أحذرك من الوقوع بخطأ الاعتقاد بأن من يذهب إلى دور السينما ويشاهد التلفزيون وغيره هو وحده من يحاول الهروب من نفسه بل أن له قريناً حميماً في ذلك وهم رواد المعابد الذين يذهبون إلى هناك للسبب نفسه، الفرق الوحيد بين السينما و المعبد هو أن المعبد سينما قديمة وطريقة قديمة للهروب من النفس أما السينما فمعبد حديث و طريقة حديثة؛ لا فرق بين من يدندن ، يقرأ ويصلي في العابد و بين من يجلس لسماع أو رؤية ما ينسيه ذاته. كل ما نبذله للانخراط في أي شيء خارجي سواءً أكان عبادة أم سينما أم...؛ كل ما نبذله لنكون جزءً من تجمع ما لا يساوي في الأبعاد العميقة سوى محاولة الهروب من الذات... نشترك جميعاً في هدف واحد و هو محاولة الهروب من حقيقتنا بطريقة أو بأخرى... و هذا يؤكد أن حالتنا الداخلية تصبح

أسوأ و نفتقد الجرأة و الشجاعة اللازمتين للنظر إليها... أصبحنا نخشى النظر في هذا الاتجاه؛ أصبحنا كالنعامة في الصحراء و التي ترى عدوها... عندما يكون العدو مرئياً يمكن فعل شيء إزاءه، أما عندما يكون مختفياً في الداخل فلا نجد سوى الهروب منه و نظنه بذلك قد اختفى و نظن أننا المنتصرون !!!

نريد أن ننسى كل شيء عن حالتنا الداخلية؛ لا نريد أن ننظر لما هو هناك... من الممكن أن نقنع أفكارنا بأن غير المرئي غير موجود ولكن من المستحيل أن يعنى هذا أنه قد اختفى... لا توجد أية علاقة و ارتباط بين غير المرئي و غير الموجود، يمكن فعل شيء ما تجاه الشيء المرئي و تغييره بينما لا يمكن تغيير غير المرئي الذي يستمر بالنمو و التصاعد داخلياً كالجرح أو المرض الخفي الذي نرفض النظر إليه و الاعتراف بوجوده.

أصبح الدماغ معتلاً و جريحاً... فلو قدر لآلة الكشف الكامل عما يدور في دماغ كل منا أن ترى النور فمن المحتمل أن يبادر الكثير منا الانتحار الفوري ! لا يمكن لأحدنا أن يسمح لآخر بالاطلاع على ما يجول داخله، ولكن عاجلاً أم آجلاً لا بد أن يمكن ذلك أما الآن فنحن في غاية السعادة لعدم وجود نوافذ لرؤوسنا تسمح برؤية ما هو داخلها..

يختلف تماماً كل ما نظره خارجاً عن كل ما نخفيه داخلاً؛ كل ما نراه على الوجوه مختلف تماماً عما تخفيه القلوب، فمن الممكن أن نتحدث عن الحب و لا نملك غير الكره في داخلنا... قد تصادف أحدهم ذات صباح فيقول لك « صباح سعيد، أنا في غاية السرور للقائك هذا الصباح، » لكنه يقول داخلياً « لما توجب علي أن أفتتح صباحي برؤية هذا الغبي ؟»

لو فتحت نوافذ الرؤوس سنكون في ورطة حقيقية و ستصبح الحياة صعبة بالفعل، ربما نبدي بعض الصداقة تجاه أحدهم ولسان حالنا الداخلي يقول « متى سيموت هذا ؟ » هناك شيء على السطح و شيء آخر تماماً في الأعماق لكننا لا نجرؤ على النظر نحوه لرؤيته و إدراكه.

كانت سيدة تعيش مع ابنتها الشابة و قد اعتادت كلتاهما على السير أثناء النوم، نهضت الوالدة ذات ليلة قرابة الساعة الثالثة فجراً و ذهبت إلى الحديقة خلف المنزل، و بعد لحظات نهضت الابنة و سارت أيضاً

نحو الحديقة، عند رؤيتها للفتاة صرخت الأم « أيتها العاهرة، أنت من سلب شبابي، منذ ولادتك بدأت أصبح مسنة... لو لم تولدي لكنت ما زلت شابة. »

أما الفتاة فقد صرخت عند رؤية الوالدة «يا لك من امرأة شريرة، أصبحت حياتي بسببك عبودية صعبة؛ أنت حجر عثرة في طريقي؛ أنت قيد ثقيل في حياتي. »

صاح الديك في تلك اللحظة فاستفاقت كلتاهما، قالت الأم عند رؤية ابنتها « لم صحوت مبكراً يا عزيزتي، الحديقة باردة فهيا بنا إلى الداخل . »

جرياً على عادة صباحية أسرعت الفتاة لملاطفة قدمي الوالدة وقالت « صحوت مبكراً يا والدتي و صحتك ليست على ما يرام... تعالي و استريحي .»

انظر إلى الفرق بين كلام النوم و كلام الصحوة !!

كلام النوم أكثر مصداقية من كلام الصحوة لأنه قادم من أعماق أبعد؛ إن ما تظهر به في أحلامك أكثر حقانية مما تبديه في العمل أو في المجتمع فالوجه الخارجي مصطنع ومعدل، في الأعماق أنت شخص مختلف تماماً فقد تضطر أحياناً لتلفيق بعض الأفكار الجيدة في الخارج لكن نيران الأفكار الداخلية مستعرة في الداخل، قد تبدو في الظاهر متمتعاً بكامل الصحة و السكينة و يملؤك المرض والاضطراب في الداخل؛ قد تبدو مبتسماً في الظاهر لكن بسمتك تلك ما هي في الحقيقة إلا غطاء لنهر من الدموع... ربما

تكون قد اصطنعت البسمة لتغطي بها دموعك... هذا ما نفعله في العادة.

سؤل Nietzsche ذات مرة « أنت في ضحك دائم ؛ أنت في فرح دائم فهل أنت كذلك في الحقيقة ؟ »

فأجاب السائل « ما دمت سألت فسأخبرك الحقيقة، أضحك كي لا ينفجر بكائي الداخلي؛ أكبت بكائي قبل أن يبدأ بالضحك؛ أحتفظ ببكائي داخلاً... يجب أن يقنع ضحكي الآخرين بأنني سعيد ... أضحك لأنني حزين و علي أجد في ذلك بعض العزاء و السلوى .»

لم يرى أحد المسيح يضحك؛ لم يرى أحد بوذا يضحك... لم يرى أحد المشاهير يضحك، ما هو السبب في ذلك ؟ ربما لا يكون هناك دموع في الداخل فلا حاجة لتغطيتها بالضحك؛ ربما لم يتبقى أي أحزان لتغطيتها بالابتسامة، فأي اهتزاز داخلي سيظهر من فوره على الوجه و لا داعي لتكديس ورود الضحك عليه .

يجب على صاحب الجسد النتن أن يرش عليه المعطرات، ربما يحتاج صاحب الجسد القبيح لبذل الجهود ليجعله يبدو جميلاً... يجب أن يتعلم الحزين داخلاً الضحك و يجب أن يتعلم المملوء

بالدموع داخلياً الابتسام... يجب أن يتعلم من تملأ للأشواك داخله تكديس الورود في الخارج .

الإنسان مختلف تماماً عما يبدو؛ إنه معاكس لظاهره... إنه شيء في الداخل و شيء مختلف تماماً في الخارج، فإذا انخدع الآخرون بما نكدسه على خارجنا فهذا جيد، لكن المشكلة أننا بدأنا ننخدع نحن بما نفعله و نحسبه حقيقة... لا يعد مفاجئاً أن ينخدع الآخرون بمظهرنا الخارجي لأنهم عادة ما ينظرون إلى الخارج، لكننا أصبحنا نظن صورتنا الحقيقية هي تلك التي يراها الآخرون ... ننظر لأنفسنا بأعين الآخرين ولا ننظر بأعيننا مباشرة لنرى كيف نبدو بالأصل.

خدعتنا الصورة التي تلقطها أعين الآخرين و أصبحنا خائفين من النظر إلى داخلنا... نريد أن نرى صورتنا التي اصطنعها الآخرون لنا ... ماذا يقول الآخرون ؟ إنه هاجس يشغلنا و فضول أجوف لا غير ذلك الذي يقوله الآخرون عنا، نعتقد أنه بمقدورنا التعرف على أنفسنا عبر عيونهم... مدهش حقاً وغريب أن تنظر بعين سواك لترى نفسك.

يخشى أحدنا أن يذكره الآخرون بسوء و يشعر بالسعادة عندما يذكرونه بالفضيلة لأن معرفته لنفسه تعتمد على آرائهم... لا نمتلك معرفة حالية عن أنفسنا و لا نمتلك أي اختبار لمعرفة تلك

النفس، هذا الاختبار ممكن لكنه لا يحدث و السبب ببساطة أننا نحاول الهروب منه.

لمواجهة الفكر و التعامل معه يجب في البداية عدم الاكتراث لما يقوله الآخرون عنك و كيف تبدو بأعينهم بل عليك مواجهة حقيقتك الفعلية... على أحدنا أن يواجه في وحدة تامة فكره ويمحص مكنوناته كاملة... و يا لها من شجاعة؛ إنها شجاعة هائلة أن تقرر الدخول إلى جحيمك الداخلي؛ إنها شجاعة عظيمة إن تواجه نفسك وحيداً عارياً... نحن بحاجة لهذه الدرجة من الشجاعة .

اعتاد أحد الأباطرة قضاء خلوة يومية في غرفة انفرادية صممت في وسط قصره، أثار هذا السلوك انتباه وحيرة المحيطين به من أسرة، وزراء و أصدقاء فقد كان يحتفظ بمفتاح الغرفة بجيبه وعند الدخول يقفل بابها الوحيد من الداخل... كان يكرر هذا يومياً لساعة على الأقل.

كان الملك متحفظاً و لم يخبر أحداً عما يجري في الغرفة الموصدة، حتى نساؤه لم تعلم أي منهن شيئاً، وكان يكتفي بالابتسام و الصمت عندما يسأل عن الموضوع... يوماً بعد يوم تزايدت حيرة المحيطين و فضولهم: ما الذي يفعله هذا الإنسان في غرفة بباب واحد موصد و دون نوافذ لساعة كل يوم ثم

يخرج صامتاً ؟!!! لم يعلم أحد... و أخيراً بلغ فضول أهل القصر ذروته و لم يعد بمقدورهم الصبر أكثر فعقدوا مؤامرة هدفها كشف السر، كان الجميع مشتركاً -الأصدقاء، الوزراء، الزوجات و الأبناء و البنات.

في إحدى الليالي فتح المتآمرون ثقباً في جدار الغرفة مما سيمكنهم من رؤية ما سيفعل الملك عند دخوله القادم... في اليوم التالي دخل الإمبراطور غرفته فبدأ الأصدقاء النظر إليه عبر الثقب بالتتابع، كلما نظر أحدهم ابتعد من فوره و تساءل « ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟» لكن لم يستطع أي منهم معرفة ذلك. دخل الملك الغرفة فخلع ملابسه كاملة ثم بسط يديه إلى السماء وقال « إلهي، أنا لست ذلك الإنسان الذي كان يرتدي ملابساً، إنها ليست حقيقتي... ها هي الحقيقة. » ثم بدأ يقفز بفرح، يشتم و يلعب كالمجانين.

كلما نظر أحدهم من الثقب ابتعد و قال مصدوماً « ما الذي يفعله، كنا نظنه يتأمل أو يصلي ولكن ما هذا الذي يفعله ؟ » ثم قال الملك للّه « إن الشخص الهادئ المطمئن ذا الملابس و الذي كان ماثلاً بين يديك هو شخص مزيف و مصطنعو أنا من بذل الجهود لاصطناعه، هذه هي حقيقتي؛ هذا هو عريي وجنوني، إذا قبلت حقيقتي فهذا رائع... يمكنني أن أخدع

الناس و لكن كيف لي أن أخدعك، يمكنني أن أبدو للناس لست عاريا بارتدائي ملابس لكنك تعلم يقيناً حقيقة عريي... كيف لي أن أخدعك، أستطيع أن أبدو للعالم مطمئناً و فرحاً لكنك تعلم حقيقة أعماقي... كيف لي أن أخدعك... أنا بين يديك لست سوى مجنون.

أمام الله نبدو كمجانين بالفعل، دع الله جانباً و دعنا ننظر إلى داخل أنفسنا ، حتى بعينك المجردة لن تبدو أكثر من مجنون... أصبحت عقولنا متعبة ومشوشة تماماً لكننا لم نكترث لهذه المشكلة و لم نحاول بالتالي إيجاد وسائل مناسبة للتعامل معها. علينا في البداية أن نتصالح مع أفكارنا ولكن قبل ذلك هناك بعض ما يجب فهمه لنصبح قادرين على التفكير بكيفية تغيير الفكر.

في بداية المصالة و المواجهة المباشرة مع الفكر علينا التغلب على كامل مخاوفنا حول التعرف على حقيقتنا... و لماذا يخاف أحدنا من معرفة حقيقته ؟ نخشى أن نكون أناساً سيئين، بعد أن نكون قد تصورنا و تيقنا بأننا أناس جيدون قد نحصل على نتائج معاكسة؛ نبدو لأنفسنا في غاية الكمال -شرفاء، أتقياء، على صواب دائم... و يأتي الخوف من إمكانية اكتشافنا أننا داخلياً غير كذلك، فقد نستنتج أننا غير

متدينين مثلاً أو أننا معقدون و مخادعون... يأتي الخوف الحقيقي إذاً من إمكانية انهيار الصورة التي رسمناها لأنفسنا.
لا يمكن لمن يقع فريسة لهذا النوع من الخوف أن يواجه فكره، من السهل للغاية اقتحام الغابات؛ من السهل للغاية الدخول و السير في الظلمة ومن السهل أن تواجه حيواناً مفترساً بهدوء و جسارة لكن لصعب بالفعل هو مواجهة ذلك الإنسان المتوحش السكن في داخلك... لا يعتبر الوقوف تحت أشعة الشمس المحرقة غاية في المشقة فيمكن لأي غبي أن يفعل ذلك؛ لا يعتبر الوقوف على الرأس بالغ الصعوبة فيمكن لأي أحمق أن يتدرب على ألعاب السرك هذه و ليس مدهشاً أن يستلقي أحدنا على الأشواك فللجلد قابلية التأقلم مع الوضع الجديد، لكن المشقة الفعلية إن وجدت هي في امتلاك شجاعة المعرفة الفورية عن كيفية ما نحن في الداخل، أسيئون نحن أم نحن مجانين ؟ كيف نبدو وما هي حقيقتنا ؟
إذاً علينا أولاً التخلي عن الخوف من حقيقتنا و الاستعداد لرؤية أنفسنا بشجاعة و من لا يمتلك مثل تلك الشجاعة فهو في مشكلة حقيقية... جميعنا نريد معرفة الروح و الوصول إليها ومعرفة حقيقتها؛ جميعنا يريد و يحب معرفة الوجود و أسراره لكننا لا نمتلك شجاعة المواجهة المباشرة مع ذواتنا، الروح

والوجود بعيدان و بعيدان جداً من هنا و الحقيقة الأولى هي أفكارنا و عقولنا؛ الحقيقة الأولى و التي علينا التعرف عليها هي عقولنا – مراكز أفكارنا و التي نحن على علاقة دائمة معها... علينا أن نتعرف عليها؛ أن ننظر باتجاهها أولاً.

في البداية يجب العمل على التعرف على أفكارنا في الوحدة دون خوف، امنح نفسك فترة وحدة لا تقل عن نصف ساعة يومياً كما فعل الملك و اطلق العنان لفكرك ليعبر عن نفسه كما هو، خاطبه قائلاً « فليكن كل ما تريد و كل ما تفكر به؛ أسمح لك بأي شيء تريد » ثم تجاهل كل أشكال المراقبة التي تمنعك من التعبير عن نفسك امنح فكرك الحرية الكاملة ليسمح بظهور كل ما يجول به ... لا توقف و لا تكبت شيئاً... أنت الآن مستعد لمعرفة جوهرك.

.عليك أيضاً ألا تحكم على شيء بأنه جيد أم سيء لأن الحكم بداية الكبت، عندما تقول مثلاً « هذا سيء أو هذا خطأ » سيبدأ الفكر بكبت هذا الشيء و بالعكس عندما تقول « هذا جيد أو هذا صحيح » سيبدأ الفكر باستخدامه... كن مستعداً لمواجهة أي شيء في فكرك مهما كان و كيف كان.

إذا أنت منحت فكرك الحرية المطلقة بالتفكير و بالشعور كيفما يشاء ستشعر بالرعب و تتساءل أأنت عاقل فعلاً أم مجنون، ولكن من الضروري أن تعرف ما بداخلك لتتحرر منه... المعرفة و الإدراك هما أولى مراحل التحرر من شيء ما، فنحن مثلاً لا نستطيع مواجهة عدو نجهل عنه كل شيء... العدو المختبئ أخطر كثيراً من ذلك الذي يواجهك.

يجب السماح للفكر بالتحرر لأن القيود و الموانع التي فرضناها عليه من كل الجهات منعته من التعبير عن نفسه بعفوية... لقد كبتنا عفويته كاملة.

أصبح كل شيء مزيفاً و فاقداً لطبيعته، سترنا حقيقتنا بحجاب و ارتدينا أقنعة مزيفة و لم نسمح للأفكار بالعبير عن نفسها بحرية و بساطة، إذاً و على الأقل اسمح للأفكار بالتعبير عن نفسها أمامك لتتمكن من اكتشاف ما هو مكبوت فيك... كبت جزء كبير من أفكارنا في الظلمة و لم نتعب أنفسنا بإيقاد أية مصابيح هناك، نحن كمن يعيش على شرفة منزله و لا يعرف ما الذي تخفيه الظلمة في الداخل؛ لا يعرف كم يوجد من الحشرات و العناكب و كم يوجد من الأفاعي و العقارب، في الظلمة يمكن لكل هذه الأشياء بالتجمع و نخشى نحن النظر إلى الداخل لا بل لا نريد التفكير

بحالة منازلنا... أما بالنسبة للمتأمل و مريد التأمل فلا بد من التغلب على هذا الخوف.

لإحداث ثورة في عقولنا و أفكارنا لا بد في البداية من إسقاط الخوف من معرفة الذات و الاستعداد لذلك بشجاعة، ثم في المرحلة التالية التخلص من كل القيود و الموانع التي فرضناها عليها، لا تتوهم و تعتقد بأنك لم تفرض على فكرك أية أعباء فهناك الكثير منها -ثقافتنا، أدياننا، أخلاقنا، مواعظ شيوخنا و حضارتنا كل ذلك أثقل أفكارنا بالقيود « لا تفكر بهذا – قيد أول، تجنب هذا النوع من الأفكار فهو سيء – قيد ثان، لا تزن – قيد ثالث...» عندما نكبت ما نراه سيئاً فنخطئ إذا اعتقدنا أنه اختفى، لكن الصحيح أنه يتجذر أعمق في لا وعينا ثم يظهر هناك و نعتقد بأنه قادم من الخارج.

تذكر دائماً... كل ما تجده في أفكارك قادم من الداخل و لا يوجد ما هو قادم من الخارج... في الجبل ينبوع ماء و نظن أنه نشأ منه، للتخلص من هذا الينبوع نقوم بإغلاق فتحته بالحجارة فنظن أننا نجحنا، لكن الماء في الحقيقة سيغور أعمق و يبحث لنفسه عن منفذ آخر ليخرج من الجبل، إن الذي كان ينبوعاً واحداً دون كبت ربما يصبح بعده عشرة ينابيع وعند استمرار الكبت قد تتحول الينابيع العشرة إلى مئة.

كل شيء من الداخل و لا يوجد شيء واحد من الخارج، وكلما ازداد كبتنا ازداد المكبوت قباحة و شذوذاً و سيبدأ عندها بالبحث عن وسائل جديدة للظهور، و كيف يظهر يا ترى ؟ يظهر باختلاق عقد جديدة لكننا نتابع الكبت أكثر و أكثر، حيث تقوم ثقافتنا منذ البداية على فكرة قمع ما نراه خاطئاً، و بالطبع ستتجذر الفكرة المكبوتة في لا وعينا وكلما تمادينا في الكبت تمادت هي في إحكام قبضتها علينا. الغضب خطأ لذلك نقوم بكبته فينتشر على الفور تيار من الغضب في داخلنا، و كذلك الجنس و الطمع و غيره الكثير... نكبت كل ما نراه خطأً و في النهاية نجد أننا أصبحنا أسرى في قبضته... إلى متى سنتمكن من حجز تلك الينابيع بإغلاق فتحاتها ؟ و هكذا الفكر... يتركز حول أي شيء مكبوت أو أي شيء نحاول الفرار منه؛ يتحول كل شيء نحاول الفرار منه إلى انجذاب و يبدأ الفكر بالدوران حوله... حاول أن تتهرب من فكرة ما و ستلاحظ فوراً أن الفكر بدأ بملاحقتها و الدوران حولها.

جاء شاب إلى Milarepa و هو أحد صوفيي التيبت و قال له «أريد الحصول على بعض الطاقات و القدرات فاعطني تعويذة تفيد في ذلك.»

فأجابه « نحن صوفيون و ليس لدينا أية تعاويذ ، إنها اختصاص السحرة و المشعوذين فاذهب إليهم... لم علينا الحصول على القدرات؛ لا حاجة بنا لها.»

كلما ازداد رفض الصوفي ازداد الشاب إصراراً و اعتقد أن هناك ما يخفيه الصوفي، و إلا لم كل هذا الرفض... فأخذ الشاب يكرر عودته و يعيد طلبه.

عادة ما يتجمهر الناس بحشود ضخمة حول العرافين الذين يعمدون لإبعادهم بالعصي أو برمي الحجارة عليهم... يعتقد هؤلاء بأن لدى هذا المشعوذ شيئاً مميزاً و إلا لم يعمد لإبعاد الجموع بهذه الطريقة و غيرها ! لكننا لسنا مدركين بأن رمي الحجارة و الجذب بالإعلانات الصحفية خدعة واحدة لكن الأولى منهما ممارسة يدوية و فيها خداع أكبر... إنها طريقة بارعة للجذب و لا يعلم الناس أنهم وقعوا ضحية الإغواء عن طريق إبعادهم و تفريقهم برمي الحجارة عليهم.

و هكذا اعتقد الشاب بأن لدى الصوفي ماليربا ما يخفيه لذلك واظب على القدوم يومياً... أصيب ماليربا بالضجر أخيراً فكتب له تعويذة على ورقة وقال « خذ هذه... الليلة ليلة لا قمر فيها فاقرأ هذه التعويذة خمس مرات متتالية و ستحصل بعدها على القدرات التي تريد؛ ستصبح قادراً على ما تريد.. انصرف الآن »

انتزع الشاب الورقة من يد كاتبها و انصرف راكضاً... بالكاد يهبط درج المعبد حتى ناداه ماليريا قائلاً « أيها الصديق نسيت أن أخبرك شيئاً مهماً: يجب ألا يكون في فكرك أية فكرة مهما كانت عن القرود و أنت تقرأ التعويذة .

فأجاب الشاب « لا تقلق ... لم أفكر بالقرود طيلة حياتي... لم أفكر بالقرود طيلة حياتي فلا داعي للتفكير بها الليلة، كل ما علي قراءة هذه الرقية خمس مرات متتالية و لا مشكلة في هذا.»

بالكاد وصل الشاب إلى أسفل الدرج حتى هاجمت القرود أفكاره مما أشعره بالخوف، أغلق عينيه فلم يرى سوى قرود في الداخل، أما في الخارج فرغم عدم وجود قرود لكن ظلمة الليل جعلت كل حركة في كل شجرة تبدو قروداً... بدأ يشعر بالخوف و القلق عند وصوله إلى البيت، لا داعي للتفكير بالقرود هنا فالبيت هادئ...

دخل للاستحمام و لكن أثناء ذلك رافقته القرود أيضاً بل سيطرت على كامل فكره -و نعلم حقائق العري في مثل هذه المواقف -بعد ذلك أخذ ورقته و جلس ليقرأ تعويذته، لكنه أغمض عينيه فلم يكن هناك سوى قطيع من القردة تلاحقه، ارتعب لكنه صبر و تجاسر طيلة الليلة دون جدوى،

حاول و جرب مختلف وضعيات الجلوس دون جدوى؛ حاول بوضعيات اليوغا دون جدوى؛ صلى و بكى لمن يساعده في التخلص من تلك القرود دون جدوى.

لم يأت الصباح حتى امتلأ الشاب رعباً و أدرك بأنه لا يمكن الحصول على قوة هذه التعويذة بتلك السهولة... و أدرك أيضاً -حسب اعتقاده -أن ماليربا كان حكيماً لذلك وضع شرطاً صعباً لنجاح التعويذة... في الحقيقة أخطأ ماليربا بطريقته هذه لأنه لو كانت هناك صعوبة بفعل القرود لما توجب عليه ذكرها و عندها ربما تعطي التعويذة مفعولها.

في تلك الصبيحة عاد الشاب إلى الصوفي و قال « خذ تعويذتك فقد ارتكبت خطأً جسيماً، لو كانت القرود عقبة لما توجب عليك ذكرها... لم يسبق لي أن فكرت بالقردة لكنها لم تكف عن مطاردتي طيلة الليلة الماضية... سيتوجب علي الآن الانتظار حتى الحياة القادمة لأحصل على قدرات هذه التعويذة لأنها مقترنة بالقرود منذ اليوم.»

كيف ارتبطت تلك القردة بالتعويذة ؟ أصر فكر الشاب على جبرية حتمية عدم وجود أية قرود مما تسبب بقدومها، و كلما حاول الفكر الفرار منها لا يظهر سواها... أن تحرم معناه أن تجذب؛ أن ترفض معناه أن تدعو أن تمنع معناه أن تغري و تغوي.

حقيقة بسيطة لكننا لم نفهمها و النتيجة هي وقوعنا في الاعتلال الفكري... لا نريد أن نغضب فيأتي الغضب كالقرود؛ لا نريد أن نكون جنسانيين فيأتي الجنس كالقرود ليلقي بقبضته علينا وبالمثل نتفادى الطمع و الغرور وإذ بهما يأتيا... ولكن، ماذا عما نريد: الروحانية، الدين والاستنارة و غير ذلك الكثير... كل ذلك لا يبدو و كأنه في طريقه للقدوم... كل ما نريد لا يأتي و يأتي كل ما لا نريد، تأتي هذه الانحرافات لسبب واحد هو أننا لم نفهم هذه الخاصة من خواص الفكر.

الشيء الثاني الذي علينا تذكره هو وجوب عدم الإفراط في الإلحاح جول ما يجب أن يكون و يجب أن لا يكون في الفكر، علينا أن نكون مستعدين لمواجهة ما يظهر في أفكارنا دون انتخاب أو اشتراط و نتمكن بهذا من الانطلاق لرؤية حقيقة الفكر... فهم العاملون في الدعاية و الإعلان هذه الطبيعة المتناقضة للفكر بينما لا يزال قادة و رجالات الدين في جهالة تامة حولها؛ استوعب الدعاة و عبر العالم هذه الحقيقة أما المعلمون الاجتماعيون فلا زالوا مثل إخوتهم الدينيين... عندما يقرأ الأطفال على مدخل معبد السينما « للبالغين فقط » فتراهم يدخلون بشارب صناعي ملتصق على الوجوه، وهذا في

الحقيقة حيلة احتال بها المعلنون لجذب الأطفال... هناك مجلات يكتب عليها « للنساء فقط » و لا يقرؤها سوى الرجال، يقول مسوقو هذا النوع من المجلات « أحياناً تقرأ النساء مجلات للنساء فقط » ولكن غالباً ما يقرأن مجلات « للرجال فقط ».

فهم المعلنون غاية الفهم ما الذي يؤثر في الفكر الإنساني ويجذبه، أما معلمو الدين و الأخلاق فلا زالوا على طريقتهم الغبية بالوعظ و النهي « لا تغضب، واجه غضبك إن من يصارع غضبه و يحاول الفرار منه شخص مسكون بالغضب و تنتابه هواجسه طيلة حياته و لن يستطيع التحرر منه، للتحرر من الغضب يجب مواجهته وجهاً لوجه مع الإقبال على التعرف على أسبابه و ليس مصارعته .

علينا إذاً التخلي عن جميع مشاعر الصراعات و النزاعات مع أي حالة فكرية و لذلك علينا محاولة اختلاق حالة من حب التعرف و الفهم كأن يقول أحدنا لنفسه « علي أن أعرف ما هو فكري »... علينا ألا ندخل في هذا النوع من المشاعر.

الشيء الثالث و الأخير هو عدم الحكم على أية فكرة تظهر في الفكر، فلا يجوز الحكم على شيء بأنه جيد أو بأنه سيء؛ بأنه صحيح أو بأنه خاطئ... الكياسة و السوء وجهان

لعملة واحدة فحيث يوجد سوء تجد كياسة في الجهة المقابلة، و بالعكس أينما وجدت كياسة تجد سوءً في الجهة المقابلة.

يوجد إنسان سيء داخل كل إنسان جيد و يوجد إنسان جيد داخل كل إنسان سيء... في الجيد منهما تكون الكياسة هي الوجه الظاهر من قطعته النقدية أما السوء فهو على الجهة الداخلية، و عليه إذا تحول الإنسان الجيد إلى آخر سيء فهو يثبت بذلك أنه أسوأ من الإنسان الأسوأ، أما إذا تحول الإنسان السيء إلى آخر جيد فسيبدو الجيد القديم ضعيفاً و واهناً بكياسته أمامه... تختبئ الكياسة تماماً داخل الإنسان السيء و يظهر السوء فقط فإذا تغير هذا السيء و أصبح حسناً فإن غيره من الجيدين سيبدون مقارنة به عاديين جداً فقد أشرقت منه و للتو قوة كامنة فتية من الكياسة.

لا يختلف الإنسان الحسن عن السيء بشيء فهما وجهان لعملة واحدة، لكن الحكيم هو المختلف و هو صنف ثالث من البشر فلا يختبئ بداخله سوء و لا كياسة بل يختفي كلاهما تماماً... الحكيم ليس إنساناً جيداً و لا قديساً ففي كل قديس شيطان أما الحكيم فمختلف تماماً؛ إنه في أعماق كل منهما و لا علاقة له بأي منهما... لقد دخل الجحيم بأبعاد مختلفة تماماً حيث لا معنى للجيد أو للسيء.

عاش راهب شاب في إحدى القرى اليابانية، كان رجلاً مشهوراً و حسن السمعة و متمتعاً باحترام أهل قريته... فجأة وفي أحد الأيام تبدل كل شيء فقد حدث و حملت فتاة شابة في القرية ثم وضعت مولودها، قالت لعائلتها عندما سألتها عن والد هذا الطفل بأنه الراهب الشاب .

كم من الوقت يحتاج المعجبون ليتحولوا إلى أعداء ؟ كم برأيك ؟

القليل القليل دون شك لأن في أعماق كل معجب مدين و منتقد ينتظر الفرصة المناسبة لينهي بها إعجابه و يبدأ إدانته و عداوته... يمكن أن يتغير من يبدي لك إعجاباً و احتراماً خلال دقيقة واحدة إلى النقيض تماماً؛ يمكن لمن اعتاد مسح الأقدام حباً أن يتحول إلى قاطع لرأس الإنسان نفسه في دقيقة واحدة فقط... لا فرق بين محرم و غير محترم فكلاهما وجه مختلف لعملة واحدة.

تغير كل شيء الآن بالنسبة للراهب الشاب فقد هاجم أهل القرية الذين اعتادوا احترامه لوقت طويل كوخه، وجد غضبهم المكبوت فرصته للانفجار فتحولوا خلال دقيقة من معجبين إلى أعداء فهاجموا الكوخ و أحرقوه ثم رموا بالوليد الصغير إلى الراهب.

فسأل الراهب « ما الأمر ؟ »
فصرخ أهل القرية « أوتسأل عن الأمر، هذا الوليد هو ابنك... أيجب أن نخبرك ما الأمر أيضاً ؟ انظر إلى منزلك يحترق؛ انظر في قلبك؛ انظر إلى الطفل و انظر إلى الفتاة، فهل من حاجة لنخبرك ما الأمر.»
قال الراهب « أهو كذلك ؟ أهذا الطفل ابني حقاً ؟ ».
بدأ الطفل بالبكاء فغنى له ليصمت، غادر أهل القرية تاركين الراهب مع الطفل و الكوخ الذي يحترق... في المساء ذهب الراهب كعادته ليستعطي أهل القرية، ولكن من سيقدم له طعاماً اليوم ؟ فقد أغلق بوجهه كل باب وقف أمامه، تجمع اليوم حشد من الناس و الأطفال و بدؤوا يلاحقونه و يرمونه بالحجارة... وصل أخيراً إلى منزل الفتاة أم الطفل وقال « ربما لن أحصل على طعام لي و لكن أريد بعض الحليب لهذا الوليد، ربما أكون مخطئاً و لكن ما ذنب هذا الطفل المسكين ؟ »
كان الطفل يبكي و لا زال الجمع محتشداً ينتظر، لم يعد الأمر قابلاً للاحتمال بالنسبة للفتاة فانحنت أمام والدها و قالت « اعذرني يا والدي فقد كذبت بادعائي أبوة هذا الراهب

للطفل، استخدمت اسمه لإخفاء الوالد الحقيقي، لا بل لا أعلم عنه شيئاً. »

شعر الوالد بالغضب و بالذنب تجاه الراهب فخرج من المنزل فانحنى أمامه و حاول أخذ الطفل من يده.

فسأل الراهب « ما الأمر ؟ »

أجاب الأب « عذراً أيها الراهب، لقد أخطأنا و الطفل ليس ابنك. »

عاد الراهب و أجاب « أهو كذلك ؟ إنه ليس ابني إذاً. »

و عندها قال أهل القرية « أنت أحمق بالفعل ! لما لم تذكر هذا في الصباح ؟ »

أجاب الراهب « ما الذي كان سيختلف ؟ يجب أن يكون الطفل ولداً لأحدهم، لقد حرقتم كوخ أحدهم و من الممكن أن تحرقوا كوخاً آخر، لقد أفرغتم غضبكم بالافتراء على أحدهم و من الممكن أن تفتروا على آخر... ما الذي كان سيختلف ؟ يجب أن يكون الطفل ولداً لأحدهم و من الممكن أن يكون ابني، ما المشكلة و ما الذي كان سيختلف ؟ ».

فقال أهل القرية « ألم تضع بالحسبان أن الجميع قد أذلك وأهانك ؟ ».

فأجاب « إذا أنا اكترثت لإهانتكم سأخشى احترامكم أيضاً، أفعل ما أراه صحيحاً و تفعلون ما ترونه صحيحاً... حتى الأمس كنتم ترون من الصواب احترامي و هذا ما فعلتم، أما اليوم فرأيتم من الصواب عدم احترامي و هذا ما فعلتم، أما أنا فلا أبالي سواءً احترمتموني أم لم تفعلوا. »

فقال أهل القرية « أيها العزيز: عليك أن تعلم أنك بهذا تفقد سمعتك الحسنة.»

لست حسناً و لا جيداً، أنا نفسي و حسب، لقد تجاوزت فكرة كوني جيداً أو سيئاً، تجاوزت فكرة أن أكون جيداً لأنني كلما حاولت أن أكون كذلك أجد نفسي أصبحت سيئاً أكثر، كلما حاولت أن أهرب من السوء أجد الكياسة هي التي تختفي... تجاوزت المبدأ بكامله فأنا معتدل و حيادي... في اليوم الذي أصبحت فيه حيادياً اختفى من داخلي كل من الكياسة و السوء و ولد شيء جديد تماماً هو أفضل من الكياسة و لا توجد ظلال للسوء حوله. »

الحكيم صنف ثالث من البشر... لا تنتهي رحلة المتأمل بأن يصبح جيداً بل يجب أن توصله ليكون حكيماً.

المبدأ الثالث و الأخير لا تقرر فيما إذا كانت الفكرة التي تظهر في فكرك جيدة أم سيئة... تجنب الإهانة و تفادى

الإفراط في الإعجاب... اجلس ببساطة على ضفة نهر الأفكار وكن كالجالس على ضفة النهر و يراقب جريانه بحياد... المياه تتدفق؛ الحجارة تتدفق؛ أوراق الأشجار و الأخشاب تتدفق... كل شيء يتدفق و أنت جالس على الضفة تراقب بصمت وهدوء.

الحرية

التحرر من وهم المعرفة

آلت أحوال أفكارنا إلى حالة أشبه بخلية نحل فقدت ملكتها ، أفكار، أفكار و أفكار تئز، تطن و تدور و محاطاً بها يحيا الإنسان يملؤه البؤس و القلق... لنتمكن من التعرف على الحياة و إدراكها يجب أن يكون الفكر هادئاً ساكناً كبحيرة من الماء لا أمواج فيها و لا تموجات... لتكون متحسساً للحياة لا بد أن يكون فكرك كمرآة لا غبار عليها.

لكن أفكارنا كخلية نحل مضطربة لا هي كالمرآة النظيفة و لا هي كالبحيرة الساكنة، فإذا اعتقدنا بأننا قادرون على معرفة شيء ما بعقول كهذه أو أننا قادرون على تحقيق شيء ما أو أننا قادرون غلى أن نكون شيئاً ما فنحن في عداد المخطئين .

من الضروري أن نتحرر من هذا الطوفان الفكري الجارف، أن تحيا في دوامة من أفكار تدور و تدور لا يعني أن فكرك بخير بل هو دليل فكر معتل... عندما يكون الفكر في نقائه الكامل؛ عندما يكون في سلامته الكاملة على تلك الأفكار أن ترحل... يبقى الوعي في هذه الحالة و ترحل الأفكار، أما

عندما يكون الفكر معتلاً فالوعي هو الذي يرحل و لا نحظى سوى بصحبة حشود الأفكار... إننا نعيش من الصباح حتى المساء و من المساء حتى الصباح و من الولادة حتى الموت في هذا الجحيم من الأفكار... كيف لنا التحرر منها و نحن منهمكون بجمع المزيد منها ؟ هذا غير ممكن كيف يمكن التحرر من الأفكار ؟

علينا أن نعلم شيئاً في البداية: فبل الشروع بمحاولة التحرر من الأفكار علينا التوقف عن جمع أكداس منها... إذا أردنا التخلص من أوراق شجرة ما و نحن مواظبون على تزويد تلك الشجرة بالماء، فكيف لنا الحصول على ما نريد ؟ عند قيامنا بري الجذور نبدو وكأننا لا نعلم بينها و بين الأوراق، هناك علاقة عميقة و حميمة بينهما، عندما نروي الجذور فإن الماء سيمضي بطريقه إلى الأوراق فهما شيئين لا انفصال بينهما.

و هكذا نجمع الأفكار و نروي جذورها، و عندما تصاب عقولنا و أفكارنا بالتعب جراءها نبدأ بالبحث عن طريقة لتهدئتها... إذا أردنا منع أوراق الأفكار من النمو علينا في البداية أن ندرك كيف نروي جذورها، و عند التوقف عن ري الجذور فلن ننتظر طويلاً حتى تبدأ الأوراق بالتساقط.

كيف نروي أفكارنا ؟

لآلاف السنين و نحن نتوهم أننا قادرون على تحقيق المعرفة من خلال تجميع أفكار أناس آخرين، بكل تأكيد هذا خطأ وغير صحيح فلا يمكن لأي إنسان مهما كان أن يحقق أية معرفة بتكديسه أفكار الآخرين فالمعرفة تأتي من الداخل والأفكار تأتي من الخارج، المعرفة ملكنا أما الأفكار فعادة ما تكون لغيرنا؛ عادة ما تكون مستوردة... المعرفة خفقان لوجودنا و تعبير عن مكنونات داخلنا، أما الأفكار فهي تجميع و تكديس لما قاله الآخرون... يمكن الحصول على الأفكار من الكتب التي ندعوها مقدسة ومن غير المقدس منها أو من كلام المعلمين و قادة الأديان و سواهم.....

لا يمكن لما نحصل عليه من أفكار الآخرين أن يصبح معرفة لنا و إنما طرق و وسائل نغطي بها جهلنا، و عندما يغطي أحدنا جهله بهذه الطريقة فلن يستطيع تحقيق المعرفة لأننا نظن ما لدينا معرفة لنا فنعتصم به بكامل إمكاناتنا و وجودنا، نتمسك بتلك الأفكار و نعتصم بها و لا نمتلك شجاعة التخلي عنها لتيقننا الزائف بأنها معارفنا و عندما يفقد أحدنا معارفه يصبح جاهلاً... ولكن تذكر: مهما تمسك الإنسان بالأفكار لا يمكن أن يصبح بواسطتها ذا معرفة.

عندما يحفر أحدنا بئراً فإنه يقوم في البداية بإزالة بعض الحجارة و بعض الطبقات الترابية و عندها يتدفق الماء من جوانب البئر ليملأها، فالماء موجود إذاً و لا حاجة بنا لاستحضاره من أي مكان آخر، فقط مجموعة من العوائق والموانع تمت إزالتها و تدفق الماء من تلقاء نفسه... لسنا بحاجة للقدوم بالماء و سكبه في البئر .

و كذلك المعرفة كامنة في الداخل و لا حاجة لاستحضارها من أي مكان آخر... تختفي ينابيع المعرفة في داخلنا و لكن هناك ما يحول بيننا و بينها وكل ما علينا هو إزالة تلك العوائق و ستبدأ ينابيعها بالتدفق لتملأ وجودنا.

ولكن، يمكننا أن نحفر بئراً كما يمكننا أن ننشئ بركة صناعية ولكن تختلف جوهرية و طريقة إنشاء كل منهما، فلإنشاء البركة لست بحاجة للبحث عن ينابيع ماء... حفر بئر و إنشاء بركة صناعية عمليتان متعاكستان تماماً ففي البركة لا نحفر و لا نزيل طبقات تراب و حجارة بل على العكس علينا الحصول على بعضها لإقامة جدران البركة وعند اكتمالها لا يظهر الماء من تلقاء نفسه بل علينا الحصول عليه من آبار أناس آخرين لنملأ به بركتنا... في الظاهر لا فرق بين البركة و البئر فكلاهما فيه ماء و بالتالي توهمنا

البركة و تجعلنا نعتقدها بئراً ، لكن الفرق بين البركة والبئر هو تماماً كالفرق بين الأرض و السماء وهو تماماً كالفرق بين الأفكار و المعرفة .

أول اختلاف بين البركة و البئر هو أن ماء البركة ليس ماءها و لا يمكنك إرواء أي ظمأ في هذا العالم بماء ليس ماءك... ماء البركة مستورد و سرعان ما سيصبح نتناً و ذا رائحة لأن كل ما ستعطيه ميت و ليس حي... لكن ماء البئر ماؤها الذي لا يمكن أن يصبح نتناً فله منبعه و له مجراه.

عمليتان مختلفتان و متعاكستان تحدثان في كل من البركة والبئر... تخشى البركة أن يأتي أحدنا ليأخذ من مائها لأن ذلك لو حصل ستصبح فارغة، بينما تريد البئر قدوم أحدنا ليشرب ماءها لتتمكن من الحصول على ماء جديد و عذب... ماء أكثر حياة يملأ البئر عندما يأخذ أحدهم بعضه... تنادي البئر « تعال و خذ ماءً فأنا أريد و أحب المشاركة » بينما تصرخ البركة « لا تلمس مائي؛ لا تأخذ منه شيئاً. » البركة بحاجة لمن يأتي و يصب فيها الماء لتحصل بذلك على المزيد من الثروة، بينما تريد البئر من يملك دلواً فارغاً ليملأه بالماء القديم فتحصل على ماء جديد... تحب البئر المشاركة و تريد البركة تكديس الثروة للبئر مجراها الذي يصلها بالمحيط، فقد تبدو

صغيرة لكنها عميقة في داخلها و لها اتصالها باللامحدود، بينما مهما كانت البركة كبيرة فلا يمكنها الاتصال بأحد، بل أنها مغلقة و تنتهي بذاتها فلا مجرى لها يزودها بالماء و ما لها اتصال باللامحدود.

إذا ذهبت و تحدثت للبركة عن المحيط فستبدأ بالضحك وتقول « ما المحيط ؟ لا يوجد شيء بهذا الاسم في هذا العالم، يوجد بركة لا غير أما المحيط فليس سوى خيال»... ليست لديها أية فكرة عنه.

أما إذا ذهبت إلى البئر و امتدحت جمالها فستفكر « ما الذي أملكه ؟ يأتي كل شيء من المحيط... ما أنا ؟ كل ما يأتيني متعلق بالبعيد البعيد؛ متعلق بشيء آخر »... لا يمكن أن يكون للبئر « أنا » بينما يوجد مثل ذلك لدى البركة، و الجميل في الأمر أن البئر كبيرة جداً و البركة غاية في الضآلة للبئر ماؤها و ثروتها و ليس للبركة ماء و لا ثروة .

هناك حالتان لا ثالثة لهما للعقل الإنساني، إما أن نجعله بركة أو أن نحفر فيه بئراً، أما من يجعل من عقل بركة فسيتحول ببطء تدريجي إلى الجنون.

تحولت عقولنا إلى برك و مستنقعات و لم نتمكن من إنشاء أية بئر، قام كل منا بإنشاء بركته و بدأ يجمع الأشياء فيها من

هذا العالم – أشياء من الكتب، أشياء من المخطوطات والنصوص وأشياء من الصحف و نشرات الأخبار... و يعتقد بذلك أنه أصبح متعلماً و ذا معرفة و يسمي نفسه مثقفاً، لقد ارتكبنا خطأ البركة نفسه... تظن البركة أنها أصبحت بئراً وذلك لأن في كليهما ماء .

يمكنك أن تجد معرفة عند العالم، يمكنك أن تجد معرفة عند المعلم و يمكنك أيضاً أن تجد معرفة عند الشخص الواعي، لكن العالم و المعلم بركتان و الشخص الواعي بئر والفرق بينهما عميق و جوهري... إن معارف العلماء و المعلمين مستوردة و منتهية الصلاحية و كل ما نواجهه في العالم من مشاكل هو بسبب معارف المعلمين... ما الصراع الطائفي إلا صراع بين معارف المعلمين و ما الصراعات السياسية إلا صراعات بين أفكار قادة السياسة و الدين و الصراعات المرضية في معظمها صراعات مع أفكار التجار و جميعها أفكار و معارف نتنة و ذات صلاحية منتهية.

كل مشاكل هذا العالم بفعل عقول و أفكار تحولت إلى برك و إلا لما كان فيه غير بشر... لما وجد مسيحي و لا مسلم و لا غيره فهذا كله جدران لبرك مهر المعلمون ماءها بتواقيعهم، فإذا كان الماء ممهوراً بتوقيع المعرفة المحمدية فهو مسلم وإذا

كان ممهوراً بتوقيع المعرفة المسيحية فهو مسيحي و قس على ذلك... أما الشخص الواعي فلا يحصل على مائه من أي مكان فله ينابيعه التي تأتي من الوجود لذلك لا يستطيع الارتباط بأي طائفة أو مذهب أو نظرية، و لكن أينما وجدت معلماً ستجد طائفة.

جعلنا من أفكارنا بركاً صناعية و اعتصمنا حولها... و تصرخ البركة كما ذكرنا « لا تقتربوا من مائي، فإذا فعلتم سأصبح فارغة؛ لن يتبقى في شيء... ثروتي مستعارة فلا تمسوها. »

و تذكر: الثروة التي تتضاءل بالعطاء و المشاركة مستوردة وزائفة أما الثروة التي تنمو بالعطاء و المشاركة فحقيقية... الثروة التي تنفذ بالمشاركة ليست ثروة و إنما تراكم، فقط تلك التي تنمو وتزداد بالعطاء هي ثروة فعلية... تعتمد نوعية الثروة على هذا المبدأ و على من يخشى تناقص ثروته بالمشاركة توخي الحيطة و الحذر .

و عليه كل الثروات المستعارة مصائب لأنها ليست حقيقية لذلك نخشى نفاذها و ترانا نتمسك بها أكثر و أقوى، و بالمثل نتمسك بأفكارنا و أحياناً نفضلها على حياتنا... لم تأتي كل هذه النفايات التي جمعناها في أفكارنا عن طريق الصدفة بل نحن من أعد العدة لذلك؛ نحن من يجمعها و نحن من يرعاها.

لن نستطيع التحرر من الأفكار إذا اعتقدنا أنه يمكن لشمس المعرفة أن تشرق في سماء أخدنا من مجرد مراكمتها... كيف لنا التحرر !! نبدو كمن يزود بالماء جذور شجرة و ينزع أوراقها، بالطبع هذا لا يجوز... علينا في البداية أن نعلم شيئاً مهماً: تختلف المعرفة تمام الاختلاف عن جمع الأفكار، فالأفكار المستلفة من الآخرين ليست معرفة؛ لا يمكن للأفكار المستقاة من منابع الآخرين أن تقود أحداً إلى الحقيقة أو إلى ذاته، تقود الأفكار إلى وهم زائف بأننا حققنا معرفة لكنها في الحقيقة معرفة وهمية و لم نحقق في الحقيقة سوى الحفاظ على جهلنا.

نكون أشبه و الحالة هذه بأحدهم يقرأ العديد العديد من الكتب عن السباحة و تعلمها بهدف تقديم بحث أو تأليف كتاب... هذا ممكن و بسيط ولكن لو دفع به أحدهم إلى النهر فمن المؤكد أنه لن يقوى على السباحة، قرأ و درس الكثير لكنه أخفق عند الممارسة العملية.

أبحر أحد مثقفي المسلمين و يدعى نصر الدين يقطع نهراً، جالساً في الزورق يتبادل الحديث مع قائده -في الحقيقة إذا وجد مغرورو الثقافة فرصة لإثبات جهل أحدهم فهم لا يفوتوها، فسأله « أتجيد القراءة ؟ » فأجاب المراكبي « لا،

أعرف فقط كيف أتحدث أما القراءة و الكتابة فلا أعلم عنهما شيئاً ؟»

فقال نصر الدين « فقدت ربع حياتك بعدم قدرتك على القراءة، لا يمكن لأحد أن يحصل و لو على القليل من المعرفة دون القدرة على القراءة... أحمق » لكن الرجل ضحك صامتاً.

ابتعدا قليلاً في عمق النهر ثم عاد نصر الدين و سأل « ماذا تعرف عن الرياضيات و الحساب ؟ »

فأجاب الرجل « كل ما أعرفه عن ذلك هو العد بالأصابع.»

فقال نصر الدين « فقدت ربعاً آخر من حياتك لعدم قدرتك على الحساب لأنك لن تستطيع أن تكسب شيئاً، إذا أردت أن تكسب فعليك أن تجيد الحساب ؟؟. ما الذي ستربحه في حياتك ؟ فقدت نصف حياتك حتى الآن لعدم قدرتك على القراءة و الحساب.»

عندها هبت زوبعة قوية قلبت القارب رأساً على عقب ثم غرق، فصاح البحار « أتجيد السباحة ؟ »

صرخ نصر الدين مرتعباً « لا، لا أجيدها.»

فقال البحار « فقدت حياتك بكاملها... لا أعلم شيئاً عن الحساب و القراءة باللغات لكني أجيد السباحة... وداعاً فقد فقدت حياتك كاملة.»

التعرف على الروح و حقيقة الكون من خلال الكتب والمخطوطات فلا بد من التعليم الذاتي هنا، و بالمثل الدين وحقيقته فمهما تنوعت كتبه، مدارسه وجامعاته فلا يمكن التعرف على شيء منه إلا من خلال التعلم الذاتي و التدريب على الجسد.

يمكن الكتابة عن أمور كهذه في المخطوطات، النصوص والنظريات، ثم إعادة قراءة ما كتب عدداً لا ينتهي من المرات كما يمكن فهمه و حفظه عن ظهر قلب و يمكن تعلمه وإخبار الآخرين به أما تحقيق المعرفة فلا يمكن إلا من خلال العمل الشخصي .

لا يعد جمع الحقائق و مراكمة آراء الآخرين دليل معرفة و إنما دليل جهل، و الشخص الواعي و المتمتع بالصحوة متحرر من معارف كهذه و لا يعرف إلا نفسه... بمعرفة فردية كهذه يكف الفكر غن كونه خلية نحل مضطربة هائجة و يتخول إلى مرآة نظيفة؛ يتحول إلى بحيرة هادئة هانئة. نعم، أفكارنا خلايا مضطربة من أفكار تعهدناها بالرعاية و الاحتضان لاعتقادنا بأنها معارف، جعلنا لها متسعاً في منازلنا ومنحناها تصريح إقامة دائمة؛ جعلنا عقولنا فنادقاً يمكن لكل من يرتدي ثوب المعرفة أن يقيم بها قدر ما يشاء، في حشود دائمة

التضخم و النمو كهذه يتعالى ضجيج الدخلاء و صراخهم ليعتبر صاحب الصوت الأقوى معلماً... أفكارنا فنادق مضطربة و لا نعلم من المعلم فيها.

لا تريد أي فكرة المغادرة، و هل يكن لمن دعوناه بأنفسنا للإقامة أن يغادر ؟! من السهل أن تدعو زائراً دخيلاً و لكن التخلص منه ليس بالسهولة ذاتها... بدأ تجمع هذه الحشود من الطفيليات في فكر الإنسان منذ آلاف الأعوام و لو طلبت منك أن تودعها لما استطعت مباشرة و بسهولة و لكن ذلك ممكن لو استطعنا استيعاب حقيقة هذا الوهم الذي يعترينا... احتفظنا بتلك الأفكار لتوهمنا بأنها معارف و الشيء الأول الذي علينا فهمه هو أن كل معرفة مستمدة من معارف الآخرين هي معرفة وهمية و إذا استوعبنا هذا جيداً نكون قد قطعنا الجذر الأساسي لحشود الأفكار و أوقفنا تزويده بالماء كان حكيم عجوز يمر بغابة برفقة أحد المريدين الشباب، هبط الليل وبدأت تظلم فسأل الحكيم « أي بني، أتعتقد أن هناك ما يستدعي الخوف على هذه الطريق ؟ نمر بغابة كثيفة و الظلام بدأ يهبط، أيمكن أن نواجه ما يجب أن نخاف منه ؟ ».

دهش المريد الشاب لأن السؤال عن الخوف ليس من طبيعة الساني سواءً أكان في الظلام أم في النور؛ سواءً أكان في

الغابة أم في السوق، مدهش أن يسأل الساني عن الخوف و لم يشعر به هذا العجوز من قبل، ما الذي تغير الآن و لم هو خائف؟ لا بد أن يكون هناك خطأ ؟

تابعا سيرهما و ازداد الليل ظلمة فعاد الشيخ و سأل « أيوجد ما يستدعي الخوف ؟ أسنصل قريباً إلى القرية المجاورة ؟ كم تبعد ؟ » توقفا عندها بجوار بئر ماء و استراحا لغسل الوجوه والأيدي، تناول الشيخ حقيبة كتفه و قال للمريد « خذ هذه وانتبه جيدا لها. »

فكر الشاب « يجب أن يكون في الحقيبة شيء مميز و إلا لما كان من الضروري الخوف و لا حتى الانتباه. »

من المستغرب أيضاً أن يعير الساني رعاية واهتماماً لشيء ما وعندها لن يكون هناك معنى لكونه سانياً؛ سيكون رجل عائلة، أما الساني فلا علاقة له بالخوف و الحذر .

بدأ الشيخ يغتسل... أدخل الشاب يده في الحقيبة فوجد سبيكة ذهبية، فهم الآن سبب الخوف... رمى السبيكة بعيداً و وضع مكانها حجراً بنفس الوزن و الحجم... عاد الشيخ بسرعة، تناول حقيبته ، تفقد محتوياتها باللمس... رفعها إلى كتفه ثم تابعا السير.

بعد قليل عاد الشيخ و سأل« إنها مظلمة جداً الآن، هل ضللنا الطريق ؟ هل هناك أي خطر ؟ »

فأجاب الشاب « لا تقلق، لقد تخلصت من الخوف؛ لقد رميته بعيداً . »

صدم الشيخ للوهلة الأولى، و تفقد حقيبته فوجد حجارة و ليس ذهباً ، دهش للحظة ثم بدأ يضحك وقال « كم كنت أحمقاً ، كنت أحمل حجارة شعرت بالخوف لأنني كنت أحسبها ذهباً.» عندما أدرك أنه يحمل حجارة قذفها بعيداً و قال « من الصعب أن نجد طريقنا في الظلام لذلك سننام هنا الليلة. »

بالطبع ناما في الغابة تلك الليلة بسلام آمنين.

عندما تظن أن أفكارك سبائك ذهبية ستوليها كل اهتمام ممكن و ستبقى منجذباً إليها، لكنني أود إخبارك بأنها ليست كذلك، إنها حجارة يثقل حملها ليس إلا... إن ما نظنه معرفة ليس معرفة و لا يمت لها بصلة، إنه حجارة و ليس ذهباً.

ما المعرفة التي نحصل عليها من الآخرين سوى حجارة أما تلك التي تنبع من داخلنا فهي ذهب، في اليوم الذي ندرك فيه أننا نحمل في حقائبنا حجارة نكون قد حسمنا أمرنا فلا توجد صعوبات في التخلص من الحجارة.

لا توجد صعوبة في التخلص من النفايات، الصعوبة وحدها في إلقاء الذهب بعيداً... لا تستطيع التخلص من أفكارك ما دمت تحسبها معرفة و بذلك سيبقى فكرك متعباً، قد تجرب آلاف الطرق لتجعله مستقرً هادئاً و ستفشل جميعها لأنك تصر في الأعماق على الاحتفاظ بالأفكار بوصفها معرفة... نواجه مصاعب الحياة أحياناً بسبب فهمنا الخاطئ و كون الشيء الذي أمامنا هو في الحقيقة شيء مختلف عما نظن و عندها تبدأ المشاكل... عندما يعتقد أحدنا أن الحجر سبيكة ذهب تبدأ مشاكله و عندما يدرك أن الحجر حجر ينتهي الأمر.

لذلك فإن متعة معارفنا ليست متعة حقيقية و هذه حقيقة علينا أن نستوعبها جيداً، و لكن كيف لنا ذلك ؟ أتكفينا قراءة هذه السطور لنفهمها ؟ إذا حصل ذلك سيكون فهمنا مستعاراً و باطلاً، علينا أن ننظر، نبحث و نلاحظ بأنفسنا .

لو قال المريد الشاب « فلنتابع السير فليس هناك ما يدعو للخوف و القلق، فحقيبتك مليئة بالحجارة و ليس بالذهب. » لن يعني هذا بالنسبة للشيخ شيئاً ما لم يتأكد بنفسه بالنظر في الحقيبة، لو قال الشاب هذا لما صدقه الشيخ و سيكتفي بالضحك عليه و سيعتقد أنه غلام جاهل لا يعرف شيئاً، أو أنه سيصدقه و يكون تصديقاً مشوباً بالخوف لأن فكرة الحفاظ

على السبيكة لا زالت تسكن أعماقه... لكن التحقق الفردي مما في الحقيبة هو الذي أحدث الاختلاف .

من الضروري أن ينظر كل منا في حقيبة أفكاره ليرى فيما لو كان الذي يظنه معرفة حقيقية أم أنه لم يجمع سوى ركام من الأفكار... نجمع جميعاً نصوصاً من الكتب التي ندعوها مقدسة و أخرى من غير المقدس منها، نحفظ كلام المعلمين ونكرره؛ نقيم عليه أبحاثاً؛ نكتشف اكتشافات فيه ثم نختلف و ننقسم...

جنون و حماقة كل ما نفعل و لا علاقة له بالمعرفة، و لا يمكن لأي بارقة أمل و لا يمكن لأي نور أن يشرق في حياتك جراء هذا... ستقوم بجمعك ركامات كهذه باختلاق وهم داخلي بأنك قد حققت ثروة معرفية؛ بأنك قد أصبحت معلماً بارعاً و بأنك تملك الكثيرو خزائنك عامرة، تحيا حياتك بهذه الطريقة و لن تفوز سوى بخسارتها.

قدم مريد شاب للإقامة و التعلم في دير حكيم عجوز... بعد عدة أيام من تلك الإقامة بدأ الشاب يشعر بأن هذا المعلم لا يعرف شيئاً فهو يردد الكلام نفسه كل يوم، قرر بعدها أن عليه المغدرة و البحث عن معلم آخر فهذا المكان لبس مناسباً له.

في اليوم الذي كان الشاب يعتزم المغادرة فيه زار الدير راهب آخر... اجتمع نزلاء الدير في تلك الأمسية و أخذوا يتبادلون الحديث في أمور عدة، كان الراهب الضيف واسع الاطلاع وذا معرفة جعلت المريد الشاب يعتقده مثالاً لمعلم نموذجي فقد سحر و لساعتين من الحديث المتواصل جميع الحضور، اعتقد المريد الشاب بأن الحكيم الشيخ يعتصر ألماً و غيرة لأنه بلغ كل هذا العمر و لم يحقق جزءً مما لدى هذا الضيف.

عند انتهاء الحديث بعد ساعتين نظر الضيف إلى الحكيم وسأله « كيف تقيم كلامي ؟ ».

فقال الحكيم « كلامي ؟! تحدثت طويلاً لكن لم تكن أية كلمة لك، أصغيت لك لتقول شيئاً لكنك لم تقل.»

فقال الراهب الضيف « إذا لم أكن أتحدث فمن الذي تحدث طيلة الساعتين الماضيتين إذاً ؟ ».

فقال الشيخ « إذا كنت تريد رأيي الحقيقي فالكتب والنصوص هي التي كانت تتحدث من داخلك، أما أنت لم تتحدث و لم تتفوه بحرف، كل ما كنت تقوم به هو طرح وتقيؤ ما جمعت الأمر الذي جعلني أخشى كونك رجلاً مريضاً... لساعتين كاملتين و أنت تتقيأ كل ما جمعت في معدتك حتى امتلأت الغرفة بالقذارة و النتانة... لم تظهر أي

رائحة من عطر المعرفة فيما قلت لأن كل ما تدخله من الخارج و تعيد طرحه من الداخل لن يكون غير نتانة و تقيؤ ... لم تتحدث بشيء؛ لم تقل كلمة واحدة. »

عند سماعه لحديث الشيخ عاد الشاب عن قرار المغادرة و قرر البقاء، فقد علم و لأول مرة بأن هناك عدة أنماط من المعرفة أحدها نجمعه من الخارج و آخر يشرق من داخلنا، أما ذلك الذي يأتي من الخارج فعبودية و قيود و لا يمكن له أن يحررنا من شيء، ونتحرر فقط اعتماداً على القادم من داخلنا العميق.

عليك في البداية عندما تنظر في داخلك أن تجيب عن السؤال «أتعلم كل ما تعلم ؟» من الضروري أن نسأل أنفسنا عن كل ما نظن بأننا نعلمه « أنعلمه حقاً »، فإذا كان الجواب « لا أعلم» فستبدأ كل سبائكنا الذهبية بالتحول التدريجي البطيء إلى حجارة... من الممكن أن تخدع كل إنسان في هذا العالم لكن من المستحيل أن تخدع نفسك.

لا يمكن لأحد أن يخدع نفسه، فالشيء الذي لا نعرفه... لا نعرفه، إذا أنا سألتك « أتعرف الحقيقة ؟ » فإذا هززت رأسك وقلت « نعم أعرفها » فأنت غير صادق بما فيه الكفاية... اسأل نفسك داخلياً « أعلم الحقيقة ؟ أم أنني قبلت كل ما سمعت ؟» فإذا كنت لا تعلم فتلك حقيقة عديمة القيمة، فكيف لشيء

لا أعرفه أن يغير حياتي، تصبح الحقيقة التي نعرفها فقط ثورة في حياتنا و تلك التي لا نعرفها تساوي فلساً بالكثير؛ إنها حقيقة مزيفة لا بل أنها ليست حقيقة على الإطلاق؛ إنها مستوردة و لن تكون قادرة على تغيير شيء.

يشبه ذلك أن تسأل أحدهم « أتعلم حقيقة روحك ؟ » و يجيبك « نعم، أعرف كل شيء فقد قرأت عن ذلك في الكتب و أتعلم من معلمي و من شيخي في المعبد...» تعلم الإنسان الترديد الببغاوي لكل ما يتعلمه ولكن، هل للترديد الببغاوي علاقة بالمعرفة ؟. إذا ولد أحدنا في أسرة مسلمة سيكون نوعاً من الببغاوات، و إذا ولد في أسرة مسيحية سيكون نوعاً ثانياً منها و إذا ولد في أسرة درزية سيكون نوعاً ببغاوياً ثالثاً، و هكذا لدينا مئات الأنواع من الببغاوات و في جميع الحالات لا نتعدى كوننا ببغاوات... نواظب طيلة حياتنا على ترديد كل ما نتعلمه و نفتقد للمناقشة و الاعتراض بسبب تواجد العديد من الببغاوات المتشابهة حولنا... توافق الببغاوات حولك على كل ما تقول لأنها تعلمت جميعاً الطريقة نفسها... في اللقاءات الدينية وما أكثرها يتحدث العالم أو الشيخ أو الواعظ و لا نملك سوى هز الرؤوس موافقين على صواب ما يقول لأننا نتعلم جميعاً

العلم نفسه، و يحدث الأمر نفسه عندما نقرأ في الكتب حيث نوافق على صواب كل ما ذكر فيها .

وقعت الإنسانية جمعاء بخديعة المعرفة فكانت تلك الخديعة مؤامرة ضد الإنسان... علينا التخلص من هذه المعارف و إلقاؤها بعيداً و عندها فقط يمكننا الحصول على المعرفة التي يهبنا وجودها النور و يمكننا من رؤية الروح، و هذا بالطبع غير ممكن مع المعرفة المزيفة... لا تمتلك المعرفة المزيفة نوراً، المنزل مظلم و المصباح مطفأ ولكن أقنع بعض الناس بعضهم الآخر أنه مضاء، و بعد سماعنا لهذا يتردد و يتكرر مراراً و تكراراً بدأنا نرى نحن أيضاً المصباح المطفأ مضاءً و هذا سببه وجود خوف في مكان ما داخلنا... يقولون بأنهم يرون نور المصباح ومن لا يستطيع رؤيته سيذهب إلى الجحيم أو أنه جاهل لذلك سيبدأ بالرؤية.

جاء زائر غريب إلى ملك عظيم و قال له « الآن تفوقت على العالم بأسره و لم تعد ملابس الإنسان تليق بك، سأحضر لك ملابس الآلهة...» شعر الملك بالطمع لكن عقله كان يقول «كيف من الممكن أن توجد ملابس للآلهة ! » و بالأساس هناك شك بوجودها، لكن طمعه جعله يفكر « من الممكن أن تكون هناك آلهة و لو تمكن من الحصول على ملابسها

سيكون أول إنسان في تاريخ العالم يرتدي مثل تلك الملابس. »
فكيف استطاع الرجل إقناعه ؟. لما كان ملكاً فمن الطبيعي أن يحوز الملايين و المليارات و بإمكانه دفع أي كلفة ممكنة لذلك سأل « كم كلفة ذلك ؟ ».

فأجاب الزائر « ستكلف مئة ألف دينار، لن تصل إلى الآلهة دون أن تدفع رشوة هائلة... ليس الإنسان وحده من يتعامل بالرشوة فالآلهة أذكياء أيضاً و يريدون رشوة، أضف إلى ذلك أن الإنسان فقير و يكتفي بالقليل من المال، أما الآلهة فلا، لا بد أن تكون كومة كبيرة من المال لتنظر إليها ، لا بل لا تستطيع رؤية غير ذلك، المسألة صعبة و نحن بحاجة لمئة ألف على الأقل.»

قال الملك « و ليكن، ولكن تذكر إذا خدعتني ستفقد حياتك، سيكون منزلك منذ اليوم تحت الحراسة المسلحة.»

دفع المبلغ المطلوب و وضع منزل الرجل تحت الحراسة... أصيب الناس بجوار الرجل بالدهشة و الذهول و فكروا « أين هي الآلهة و أين هي جنتها ؟ لا يغادر هذا الرجل منزله أبداً...»

مكث الرجل في منزله و قال « ستكون الملابس جاهزة بعد ستة أشهر. » أثار هذا الكلام حفيظة و شكوك الناس لكن الملك كان مطمئناً فالرجل تحت حراسة سيوف مسلولة فلا

يستطيع الفرار و لا يستطيع الخديعة... انقضت الأشهر الستة فخرج الرجل من منزله يحمل صندوقاً فائق الجمال و قال للجنود « هيا بن إلى القصر، لقد وصلت الملابس اليوم. »

تجمع سكان العاصمة، ملوك و أباطرة من بلدان بعيدة قدموا لرؤية الملابس الإلهية كما تم الإعداد لقداس ضخم... دخل الرجل البلاط حاملاً صندوقه و لم يكن هناك ما يدعو للشك... وضع الصندوق على الأرض، رفع الغطاء و أدخل يده التي أخرجها فارغة و قال للملك « خذ هذه القبعة. » لكن الملك أجاب « لا أرى شيئاً إن يدك فارغة. »

فقال الرجل « دعني أذكرك بشيء، قالت الآلهة لا يستطيع رؤية القبعة و الملابس الأخرى إلا من كان ابناً شرعياً لأبيه، هل ترى القبعة الآن ؟ ».

فقال الملك « بالطبع أراها... » لم تكن هناك أية قبعة بل كانت يد الرجل فارغة تماماً... لم يستطع أحد رؤية شيء لكنهم بدؤوا بالقول « لم يسبق و شاهدنا قبعة بمثل هذا الجمال يا لها من قبعة؛ مميزة؛ مجهشة... لم يسبق و شاهدنا إنساناً يرتدي قبعة بمثل هذا الجمال ...

الملك الآن في مأزق، فقد أجمع الحضور على جمال القبعة... وعنها قال الرجل « و الآن اخلع قبعتك يا مولاي وارتدي هذه. »

خلع الملك قبعته و ارتدى القبعة الإلهية غير الموجودة... لو توقف الأمر عند القبعة لكان الملك بخير لكنه أصبح الآن في ورطة فقد توجب عليه خلع ملابسه القطعة تلو الأخرى حتى أصبح عارياً تقريباً و لا زال الجميع يصرخ « رائع -جميل -لم نر بجمال هذا... » توجب على كل حاضر قول هذا بصوت مسموع و إلا سيتساءل الآخرون عن هوية والده.

كان كل شخص يفكر أثناء إجماع الحضور على جمال الملابس كما يلي: إما أن يكون هناك خطأ في رؤيته أو أنه مخطئ بتحديد هوية والده الحقيقي... عندما يتحدث الآخرون بصوت واحد عن الملابس فلا بد أن يكونوا على صواب، إنه إجماع و لا يمكن أن تخطئ المجموعة... و بذلك اعتق كل واحد منهم بأنه وحده المخطئ و لو بقي صامتاً لاعتقد الآخرون بأنه لا يرى.

الملك الآن في غاية الرعب، أيخلع القطعة لأخيرة أم لا، يخشى من جهة أولى أن يراه الآخرون عارياً، و من جهة ثانية إذا ظهر للعالم أنه مولود غير شرعي فسيكون في خطر، قد يكون من الأفضل قبول العري و الاحتفاظ بأبوة والده و بعائلته المالكة، ثم فكر « سيراني الناس عارياً، و ما المشكلة: إذا قال الجميع

بأنهم يرون الملابس فمن الممكن أن تكون هي الحقيقة و أنا المخطئ الوحيد... » لذلك خلع قطعته الأخيرة و وقف عارياً.
فقال الرجل « الآن نزلت ثياب الآلهة إلى الأرض لأول مرة، من المناسب أن تستقل عربة و تخرج في موكب ملكي برحلة حول العاصمة. »... كان الملك غاية في الرعب لكن لم يكن هناك مفر.
عندما نرتكب خطأً في المرحلة الأولى سيكون من الصعب للغاية التوقف عنه في أي مرحلة لاحقة كما يصعب التراجع أيضاً... إذا لم تكن شريفاً في البداية ستتابع ارتكاب الحماقات و الأباطيل في كل خطوة تالية و سيصعب عليك تحديد نقطة العودة لأن المراحل و الخطوات متشابك بعضها ببعض.
لم يستطع الملك الرفض لذلك استقل عربة و خرج برفقة موكبه... اجتمع سكان المدينة بالكامل ليروا الملابس الإلهية و بكل تأكيد قالوا يصرخون « ياالجمالها. »
طفل واحد صغير فقط كان على كتف والده صرخ « انظر يا والدي، لقد خرج الملك عارياً. »

فقال الوالد « اصمت أيها الغبي، لازلت صغيراً و لم تختبر الحياة، عندما تكبر و تكبر تجربتك الحياتية سترى ملابس الملك بالتأكيد... أنا أراها جيداً.»

أحياناً ما يقول الأطفال الحقيقة ولكن لا يمنحهم البالغون الفرصة... لدى البالغين بعض الخبرة و في هذا بعض الخطورة، فبسبب خبرته قال الوالد « اصمت، عندما تكبر و تصبح خبيراً سترى الملابس، نحن خبراء و نراها؛ لسنا مجانين. »

يقول الأطفال أحياناً « لا نرى آلهة في الصنم أو في التمثال. »

فيقول البالغون « اصمت، الإله ساكن هناك لكنك لا تراه، لكنك عندما تكبر و تصبح خبيراً ستراه جيداً.»

وقع إنساننا في مصيدة ذات أبعاد فلكية، و عندما يقع الجميع في مصيدة واحدة سيصعب على أي منهم ملاحظة ذلك... عليك أن تتحرى و تستنتج فيما إذا كانت ملابس المعرفة -التي نظنها ملابساً -ملابساً حقيقية أو أنك كالملك تقف عارياً بملابس غير مرئية و غير موجودة... عليك أن تختبر كل فكرة في عقلك وفق المقياس التالي « أأعلمها حقاً ؟» و إذا لم تكن كذلك فأعد العدة لدخول الجحيم أو عليك المضي قدماً في هذه العبودية لهذه المعرفة الوهمية.

أول شروط المصداقية المعرفية أن نقول لا نعلم لأي شيء لا نعلمه و إلا ستكون أولى مراحل النفاق و الرياء... عادة ما لا نستطيع اكتشاف الخدع الكبيرة أما الصغيرة منها فيسهل ذلك، فإذا احتال عليك أحدهم بليرات قليلة سيسهل عليك اكتشاف ذلك، أما إذا وقف أحدهم بيدين مبسوطتين أمام صنم حجري وقال « إلهي... إلهي » و هو يعلم يقيناً بأنه حجر ولا يوجد أي إله، سيبدو هذا الإنسان صادقاً و تقياً و لكن في الحقيقة يصعب أن تجد منافقاً أكبر منه في هذا العالم، إنه يقول و يقول دون أن يمتلك أي شعور داخلي لكنه لا يملك أيضاً الشجاعة الكافية لفهم ما يقول و ما يفعل.

يمحص الشخص المتدين و يعلم ما يعلم و ما لا يعلم، و هذا التمحيص أول خطوة من خطوات التدين الحقيقي... ليس المتدين هو من يقول بأنه يعرف اللّه و بأنه تعرف على الروح وبأنه قد رأى الجنة و الجحيم، بل المتدين هو من يقول « أنا جاهل تماماً و لا أعلم شيئاً... ليست لدي أية معرفة... أنا لا أعرف حتى نفسي فكيف لي أن أدعي معرفة الوجود، لا أعرف الحجر الذي أمام منزلي فكيف لي أن أقول بأني أعرف الألوهية!!... الحياة غامضة و غير معروفة... أنا لا أعرف شيئاً. »

إذا كانت لديك شجاعة أن تكون جاهلاً و شجاعة قبولك بهذا الجهل فتستطيع الشروع برحلة التحرر من مأزقك الفكري، و إلا لن تكون قادراً حتى على التحرك... هناك شيء يجب أن نفهمه جيداً: نحن جاهلون تماماً و لا نعرف شيئاً، و كل ما نبدو عليه من معارف ليس سوى وهم و خداع؛ ليس سوى معارف مستوردة نتنة... كل ما نعرفه بركة و ليس بئر، و إذا أراد أحدنا لنفسه حياة كريمة فلا بد له من التحرر من وهم البركة.

أمر آخر و أخير علينا التنبه له: علينا ألا نقارن... عندما أتحدث إليك فإنك تقارن ما أقول بما قال أحد ممن تحب أو ممن لا تحب، لن تستطيع سماعي عندها و ستفقد وقتك بتلك المقارنة... من الخطأ إقامة المقارنة بين شخصين، لأنهما مختلفين تماماً و لا يوجد فيهما ما هو متشابه، لا يمكن أن تجد ورقتين متماثلتين في شجرة واحدة و لا يمكن أن تجد حجرين متماثلين... لا يمكن أن تجد ما هو متماثل و متشابه بين آراء شخصين، قد يوجد تشابه ظاهري في بعض الجوانب و لكن لكل تميزه و فرديته فلا يوجد تماثل جوهري.

عندما تقارن كلامي بكلام أحدهم سيكون هذا الكلام عائقاً بيني و بينك و لن تستطيع كلماتي الوصول إليك و لن تكون بيننا أية علاقة مباشرة.

و لذلك لا حاجة للمقارنة و محاولة البحث عن القواسم المشتركة فهذا عديم المعنى و لن يستفيد منه أحد.

لكن المقارنة عادة شائعة في حياتنا، فلا نستطيع تقييم شيء مثلاً دون مقارنته بشيء آخر، لا نمتلك الحس الابتكاري لتقييم الأشياء لذلك نلجأ للمقارنة و عند المقارنة يبدأ الخطأ.

إذا نحن قارنا زهرة النرجس مثلاً بالوردة الجورية فعندها نكون قد وقعنا في الخطأ، النرجس نرجس و الورد الجوري ورد جوري... لا النرجس أفضل من الورد الجوري و لا الورد الجوري أفضل من النرجس و لا هما متساويان، ولكن لكل منهما فرديته و حياته المميزة... لا يوجد أفضل و أدنى و لا يوجد مساوٍ و غير مساوٍ... كل شيء يساوي نفسه و لا شيء آخر. إذا تمكنت فردية هذه الأشياء؛ شخصيتها أو تميزها من الظهور لدينا نكون عندها قد نجونا من المقارنة.

لكننا اعتدنا مقارنة جميع الأشياء بجميع الأشياء حتى بدأنا نقارن الأطفال بعضهم ببعض كأن نقول لأحدهم « انظر إلى الطفل فلان فقد تفوق عليك و لا زلت متأخراً عنه. » و في هذا

ظلم للطفل الأول و عدم إنصاف لأن الطفل فلان هو فلان والطفل الأول هو هو، و لا مجال للمقارنة فهما مختلفان في الوجود؛ مختلفان في الفردية و الجوهر و لا علاقة بينهما.

تعلم أنظمتنا الثقافية المقارنة؛ نظامنا الفكري متورط في المقارنة و كانت النتيجة عدم قدرتنا على التقييم، و النتيجة من ذلك عدم قدرتنا على فهم شخص ما أو فكرة ما بفرديتها فهناك العديد من الأشياء بيننا و تحول دون فهمنا.

كل إنسان مميز، كل إنسان هو نفسه في هذا العالم و لا يوجد شخصان متماثلان و لا يوجد حدث يتكرر مرتين... في الحياة لا يوجد ما هو قابل للتكرار... الحياة إبداع مستمر للفردية و لا حاجة للمقارنة.

انظر إلى الحياة نظرة مباشرة و لا حاجة للمقارنة و لاستحضار أشياء سابقة... يشبه كل إنسان نفسه و لا يوجد مساو و غير مساو.

القاعدة الأهم في الحياة هي: كل إنسان يشبه نفسه، لكننا إلى الآن غير قادرين على قبولها، لسنا لقبول فردية كل منا كما هي بل نريد لأنفسنا أن نكون نسخاً مكررة... فقد يقول أحدنا لابنه « كمال جنبلاط معلم مرموق و أريدك أن تكون

مثله.. » لا يعلم هذا الوالد أن في ذلك انتقاص لفردية هذا الطفل، ولد كمال أول و يكفي، فما حاجتنا لآخر ؟؟

أن نطلب من أحدهم أن يكون مثل كمال جنبلاط يعني أن نحرمه حقه الطبيعي في أن يكون نفسه و نمنحه فقط حق تقليد شخص آخر... نجبره على أن يكون نسخة كربونية ونحرمه من أن يكون نسخة أصلية... إذا كان كما نرجساً فلماذا نحرم الأخر أن يكون ورداً جورياً.

الحرية

التحرر من الإيمان و المعتقدات

الإنسان كسجين في سجن، أسير سلسلة من الأفكار ولكن ما هي الحجارة التي استخدمت لإقامة السجن الفكري ؟ ناقشنا أولها و هو وهم المعرفة و سنناقش الآن نوعاً آخر لا يقل خطورة... إذا تمكنا من إزالة هذين الحجرين سنتمكن من تجاوز السجن الفكري..

ما هو النوع الثاني من الحجارة إذاً ؟ ما هي الدعامة الأساسية الثانية المستخدمة لبناء السجن الذي تقبع فيه أفكارنا و ما هي الخيوط التي نسجت منها شباكه ؟ من الممكن أنك تعلم و من الممكن أنك لا تعلم عن هذا شيئاً؛ من الممكن أنك تعلم و من الممكن أنك لا تعلم كيف امتلأت عقولنا بهذا الكم من التناقضات...

إننا كعربة للنقل تشدها أربعة ثيران قوية في الجهات الأربع وفي الوقت نفسه، هل ستستطيع هذه العربة الوصول إلى أي مكان... إن العربة و هيكلها في خطر فالثيران الأربعة تشد بالجهات الأربع في المنتصف، أتستطيع الوصول إلى أي وجهة ؟

لن تصل إلا لوجهة واحدة و هي التمزق التام... مع أربعة ثيران قوية تشدها بالجهات الأربع المتعاكسة لا يمكن للعربة سوى التخلي عن أجزائها و التمزق.

الصراع الداخلي بين الأفكار في عقولنا يكاد يقتلنا... جميع أفكارنا متناقضة، متنازعة و مشتتة و كل منها تعاكس الأخرى... تشد ثيران أفكارنا عقولنا بالجهات الأربع و نحن في الوسط مضطربون نعاني و لا نعلم كيف تمكن هذا الصراع وهذا التناقض من الإقامة داخلنا.

كان أوشو يزور أحد الأطباء المرموقين في منزله... في الصباح وبينما كان الاثنان جاهزين للمغادرة عطس فجأة أحد أبناء الطبيب الذي قال « أن يعطس أحدهم دليل حظ سيء لذلك يفضل ألا ننصرف الآن؛ يفضل أن ننتظر قليلاً... » فقال أوشو «تبدو طبيباً غريباً و مدهش ما تقول، يجب أن يعلم الطبيب على الأقل أنها مجرد خرافة و لا علاقة لعطاس أحدهم بإمكانية ذهاب آخر إلى أي مكان ما أو عدم ذهابه. » ثم تابع قائلاً « لو تعرضت للمرض و أوشكت على الموت لما رضيت أن يعالجني طبيب مثلك، عليك أن تتخلص من شهادة الطب التي تحملها. »

مدهش حقاً أن تمنع خرافة صبيانية و هي عطاس أحدهم طبيباً من الذهاب إلى مكان ما... أفكار غرست في الطفولة وتتابع سيطرتها على أحدنا رغم ما قد يحصل عليه من معارف.

توجد الآلاف من هذه الأفكار في داخلنا و تعمل على شدنا في اتجاهات مختلفة و في الوقت نفسه، من الواضح أننا نعاني من الاعتلال... ماهي نتيجة ذلك ؟ من الواضح أيضاً أن هناك نتيجة واحدة وهي تحولنا إلى الجنون... عدد غير قابل للعد من أفكار متناقضة تجمعت و عبر آلاف السنين في فكر إنسان واحد؛ تعيش آلاف القرون و الأجيال في إنسان واحد و في وقت واحد... أفكار منذ خمسة آلاف عام و أخرى من الحديث الحديث تعيش باستمرار مع أحدنا و لا يوجد مجال لمقارنة أفكار هاتين الحقبتين فبينهما الكثير من الاختلاف و عدم الانسجام .

تجمعت أفكار من آلاف الاتجاهات المختلفة في لإنسان واحد؛ تجمعت في إنسان واحد كل أفكار المعلمين، الواعظين والقادة رغم أنها لا تتفق بشيء آخر، لا تتفق إلا بالطلب منا أن نؤمن بصحتها... تتفق جميع الأديان في العالم على مبدأ واحد فقطو هو « عليك أن تؤمن بصحة ما نقول..» يختلفون في كل شيء و يتفقون في هذا فقط تحت طائلة الذهاب إلى الجحيم...

يضحك بعضنا على غباء بعضنا الآخر لكنه لم يفكر مرة بمناقشة غبائه و الضحك عليه.

تقول المسيحية مثلاً أن المسيح مولود من فتاة عذراء و من لا يقبل بهذا عليه الذهاب إلى الجحيم... يشعر الإنسان العادي بالخوف و يجد نفسه مضطراً للقبول بكل ما يقال له و يقول بدوره « ما الذي سيتغير بالنسبة لي سواءً أولدت العذراء المسيح أم لم تلده؛ سواء ولد منها أم لم يولد ؟؟» و بالتالي يفضل القبول و لا حاجة للذهاب إلى الجحيم لسبب كهذا.

أما بقية العالم فتضحك على هذا و تدعوه غباءً.

و تقول المحمدية بأن محمداً قد صعد إلى السماء ممتطياً فرساً و شاهد الله و الجنة { هذا ما يسمى في الفكر الإسلامي بالإسراء و المعراج و الفرس هي البراق... تعتبر حادثة مغادرة الجسد و الصعود إلى السماء ثم العودة إلى الجسد عملية مألوفة لدى المستنيرين و لكن على ما يبدو لم يجد الحبيب محمد وسيلة لتقريب هذا لقومه إلا ما ذكر أو أنه أصيب بالتحريف أو سوء الفهم }... عند سماع الآخرين لهذا يبدؤون بالضحك و يقولون أنها من ضروب الغباء، فمن جهة أولى لا يمكن الإناث السفر إلى السماء ولو كان الحصان ذكراً لأمكن التفكير و الصفح عن ذلك، لكن الجسد من طبيعة

أرضية و لا يمكن له الذهاب إلى السماء، و لكن تسمي المحمدية من لا يؤمن بصحة هذا المعتقد كافراً و يتوجب عليه الإقامة الأبدية في نار جهنم و هكذا تتكرر المعتقدات فهناك من يقول بأن الآلهة قد تدخلت لنقل جنين من رحم امرأة إلى رحم أخرى من طائفة أخرى، و هناك من يعتقد بأن أحد القادة الدينيين اختبأ في جذع شجرة ثم قطع الأعداء تلك الجذع و هو بداخلها و بالتأكيد لم يمت لضرورة اكتمال المشهد... كل ذلك و عليك أن تؤمن تحت طائلة الذهاب إلى الجحيم.

بدون شك كانت هناك فترة من الزمن لم تعلم أي طائفة معتقدات غيرها فقد عاشت كل واحدة في قوقعتها و لم تتعرف سوى على معتقدات تلك القوقعة و لهذا السبب لم يكن هناك اختلاف يذكر، أما الآن و قد تحول العالم إلى قرية صغيرة فقد بلغ الخلاف حد الجنون و لم يعد إنسان قادراً على فهم أسباب هذا الضجيج و لم يعد قادراً على فهم ما يريده الآخرون.

أحدثت أفكار و تعاليم كل من طلب منا أن نؤمن بما يقول ضجيجاً و ارتباكاً في فكر الإنسان فقد أصغى لهم و بقيت انطباعات تعاليمهم عالقة داخله تشد وجوده في اتجاهات متعددة مختلفة بعد حقبة الأديان جاءت الشيوعية لتنفي كل

معنى لفكرة الدين و الألوهية و تقول بأن الدين الحقيقي فقط هو ما يقوله ماركس و على أحدنا ألا يؤمن بشيء سواه... وبذلك بدأ معتقد جديد بالظهور.

بعد الشيوعية جاء العلم ليقول بأن كل ما سبق من أديان وشيوعية باطل و عديم الصحة، و لا صحيح إلا ما يقوله العلم... قد يحدث خلال حياة أحد العلماء أن يأتي عالم آخر برأي مختلف و يدعي أنه المحق و سابقه على خطأ، و ربما يظهر ثالث ليأتي برأي مخالف لرأيي سابقيه و يدعي أنه مصيب وبأنهما مخطئين... و هكذا ربما يأتي رابع و خامس.

تسبب مذيعو و مدعو الحقائق بإحداث تشويش في عقل و نفس الإنسان... أفكار شديدة التغاير تعمل على شده في الجهات جميعها... تم استخدام الخوف و الرشوة و بطرق سرية لاختلاق كل هذه الفتنة و فرض مجموعة من المعتقدات... ثم، إذا لم تؤمن عليك الذهاب إلى الجحيم.

في الحقيقة يؤدي قادة الأديان و دعاتها من جهة و مسوقو الإعلانات من جهة ثانية الوظيفة نفسها إلا أن المعلنين أقل شجاعة... فقد يأتي في أحد إعلاناتهم بأن ملكة الجمال الفلانية حصلت على جمال بعد استخدام « الصابونة س مثلاً » و بالتالي يتولد خوف داخلي من شبح القباحة بالنسبة لمن لا

يستخدم الصابونة س فقد لا يحصل على الجمال ، و لهذا نهرع جميعاً لشراء الصابونة س كما لو أن الجمال قد ولد للتو و اللحظة على يد هؤلاء... رغم كل ذلك ما زالت شجاعة هؤلاء دون مستوى شجاعة زملائهم منظري الجحيم... فقد يأتي يوم و نسمع في الإعلان « استخدم س و إلا ستذهب إلى الجحيم. »

لا يتحلى معلنو اليوم بشجاعة أسلافهم بل يعمدون للتهديد بمجرد ذكر أشياء كاذبة و نتابع الإصغاء و القبول دون أية منقشة أو مقاومة... إذا استمر تكرار الكذبة نفسها لآلاف المرات و السنين سنبدأ بالاعتقاد أنها حقيقة رغم وضوح كذبها.

اشترى فلاح ريفي ماعزاً صغيراً في المدينة... رأته مجموعة من اللصوص و قطاع الطرق ففكروا أنهم لو استطاعوا الحصول على هذا الماعز فسيستمتعون بوجبة شهية كما سيكون بمقدورهم دعوة الأصدقاء إلى حفلة... ولكن كيف لهم ذلك ؟ بدا الفلاح قوي البنية لذلك سيصعب انتزاع الماعز منه بالقوة لذلك قرروا اللجوء للخدعة... بينما كان الفلاح يسير في الطريق اعترضه أحدهم و قال « مرحباً. »

فأجاب الفلاح « مرحباً. »

نظر اللص و قال « لم تحمل هذا الكلب على كتفك ؟ » بدون شك كان الفلاح متأكداً أنه يحمل ماعزه الصغير و ليس كلباً، ثم تابع اللص « من أين اشتريت هذا الكلب... يبدو رائعاً. »

ضحك الفلاح و قال « يبدو أنك مجنون، هذا ماعز صغير وليس كلباً... لقد اشتريته للتو. »

فقال اللص « أنصحك ألا تدخل قريتك حاملاً هذا الكلب وتظنه ماعزاً، سيعتقد أهل القرية أنك جننت. »

تابع اللص سيره أما الفلاح فقد ضحك و اعتقد أنه يواجه موقفاً غريباً ليس إلا، لكنه تلمس أرجل الماعز ليتأكد بأنه ليس كلب كما ادعى هذا الغريب، و هذا ما حصل بالفعل. »

في المفرق التالي جاء لص آخر وقال للفلاح « مرحباً... لقد اشتريت كلباً رائعاً و أرغب بشراء مثله، فمن أين حصلت عليه؟». لم يستطع الفلاح هذه المرة القول بنفس القوة بأنه يحمل ماعزاً و ليس كلباً، فقد يخطئ شخص واحد و يصعب ذلك على اثنين.

رغم ذلك بقي متماسكاً، ضحك و قال « لا يا سيدي، إنه ماعز و ليس كلب. »

فقال اللص « من الذي أخبرك ذلك ؟ يبدو أنك خدعت... » ثم تابع سيره... أنزل الرجل الماعز عن كتفه ليتأكد بأن هذين الرجلين قد أخطآ، و هذا ما حصل و لكن في هذه المرة بدأ نوع من الخوف الداخلي بالظهور لدى الفلاح، فقد يكون قد خدع فعلاً.

ازداد الخوف عندما تابع سيره، و عندها لقيه لص ثالث «مرحباً، من أين اشتريت هذا الكلب ؟» لم يجد الشجاعة هذه المرة ليقول بأنه ماعز و ليس كلب لذلك قال « اشتريته من المدينة » ثم بدأ يفكر: قد يتوجب عليه عدم أخذ الماعز إلى القرية... لقد هدر أمواله و لا مشكلة في هذا، المهم ألا يتعرض لانتقاد أهل القرية و ألا يتهم بالجنون... و بينما هو يفكر جاء رجل رابع و قال « إنك غريب بالفعل، لم يسبق أن شاهدت أحداً يحمل على كتفه كلباً، أتظنه ماعزاً ؟ ».

نظر الفلاح حوله و تأكد أنه وحيد في الطريق، أنزل الماعز عن كتفه، وضعه على الأرض ثم ولى مدبراً... فقد المال لكنه نجا من الجنون.

جاء اللصوص و أخذوا ماعزهم.

كرر أربعة أشخاص بالتتالي الكذبة نفسها فأصبح من الصعب على الفلاح الاعتقاد بأن ما يقولونه قد يكون خاطئاً...

ولكن، ماذا لو كان هؤلاء ممن يرتدون عباءات، عمامات ولحى ؟ سيصبح الأمر أصعب بالتأكيد، ماذا أيضاً لو كانوا أنفسهم صناع الحقيقة في حياتنا ؟ سيزداد الموقف صعوبة أيضاً و سيصبح أصعب و أصعب إذا كانوا من التزهديين الناكرين للعالم لأنه لا يوجد مبرر و لا ضرورة لإنكار ما يقول هؤلاء... لا أقول أنهم مخادعون بالضرورة لكن الغالبية العظمى من مبادئهم خاطئة و منهم من وقع ضحية الخديعة؛ ليسوا مخادعين بالضرورة لكنهم وقعوا معنا في المصيدة ذاتها. هناك شيء واحد مؤكد بالضرورة: طالما طلب من أحدنا أن يعتقد و يؤمن سيبقى مستعبداً؛ لن نتحرر من عبوديتنا طالما هناك من يطلب منا بشيء ما ... قد نؤمن بالمحمدية أو بالمسيحية أو بغيرها، قد نؤمن بالشيوعية أو بعدمها و قد نؤمن بالعلم أو بعدمه كائناً ما كان المعتقد و طالما طلب منا الإيمان بما قال أحدهم، طالما قيل لنا إن صدقنا سنسعد و إن كذبنا سنعذب... طالما بقيت هذه الخدعة مستخدمة لخداعنا لن نكون قادرين على استجماع الشجاعة اللازمة للتحرر من مأزقنا الفكري.

إن ما أريد قوله هو: إذا أردنا التخلص من المستنقع الفكري المتشكل داخلنا و الذي جمعناه من قرون عديدة و تجمعت فيه انطباعات، آثار و مستحاثات من مئات الأعوام و القرون علينا

أن نفهم يقيناً شيئاً واحداً و هو « لا يوجد ما هو قاتل و انتحاري أكثر من الإيمان »علينا أن ندرك يقيناً شيئاً واحداً وهو « أن تؤمن مغمضاً عينيك؛ أن تقبل صامتاً معناه أن تفقد كل معنى لحياتك، و هذا ما يحصل معنا حتى الآن.

يطلب منا الجميع أن نؤمن بما يقول هو فقط لتوهمه بأنه وحده هو المصيب كما يطلب منا الجميع ألا نؤمن بالآخرين لظنه أنهم مخطئون جميعاً.

أن تؤمن يعني أن تدمر حياتك؛ أن تتخذ لحياتك قاعدة إيمانية يعني دخولك عالم العدمية و لا يمكن لأي نور أن ينير حياة كهذه... أن تؤمن بالآخرين يعني عدم قدرتك على معرفة نفسك.

إذا كان الإيمان خطأً، فهل الإنكار، أي عدم الإيمان، هو الصواب ؟ بالطبع لا... قد نعتقد أن عدم الإيمان بشيء ما يعني ضمنياً إنكاره و هذا غير صحيح، فهناك حالة فكرية لا تكون فيها مؤمناً و لا منكراً... ما الإنكار إلا أحد أشكال الإيمان، فعندما نقول مثلاً « لا نؤمن بالله » فهذا يعني أننا نؤمن بعدم وجوده؛ عندما نقول أننا لا نؤمن بالروح فهذا يعني أننا نؤمن بعدم وجودها ... الإيمان و الإنكار متشابهان تماماً وليسا مختلفين و كل ما في الأمر أن الإيمان إيجابي و الإنكار

سلبي؛ الإيمان يقين موجب و الإنكار يقين سالب و كلاهما يقين.
إذا أراد أحدنا أن يتحرر من مستنقعه الفكري الداخلي عليه أن يتحرر من اليقين و الإيمان؛ عليه أن يكف عن طلب آراء الآخرين و عليه أن يتخلى عن فكرة النظر للآخرين على أنهم القادرون على قيادته إلى الحقيقة... طالما اعتقد أحدنا بأن أحدهم قادر على إعطائه الحقيقة فسيكون في العبودية بأحد أشكالها ، فإذا تحرر من العبودية لشخص أو لمذهب سيقع في عبودية آخر و إذا تحرر من عبودية هذا الآخر سيجد بالتأكيد من يقع تحت عبوديته... و أن تنقل مركز عبوديتك من سيد لآخر لن يحررك إلا مؤقتاً.
عاش في إحدى القرى رجلان، أحدهما موحد تمام التوحيد والآخر ملحد تمام الإلحاد... اعتاد الموحد التحدث عن الله ووجوده كما اعتاد الملحد على دحض كل ما يقول الموحد... احتار أهل القرية بأمر هذين الرجلين و بأمر من يتبعون منهما ثم قرروا بأن حيرتهم هذه لن تنتهي ما لم يدعى كلاهما إلى مناظرة أمام الجميع و سيتبع أهل القرية الفائز منهما.
عقدت المناظرة في إحدى الليالي المقمرة و قدم كل منهما نظرياته و حججه، استمرت المناظرة حتى الصباح لكن

مشكلة أهل القرية لم تحل فقد أقنع كل من الرجلين الآخر فتحول الموحد إلى ملحد و الملحد إلى موحد.

لن يجدي حياتك نفعاً أن تنقل اعتقادك من مركز لآخر، ليست مشكلة وجودنا بمن نؤمن بل بأن نؤمن بالأساس و طالما استمر إيمان أحدنا استمر بسجن نفسه بطريقة أو بأخرى؛ بمكان أو بآخر.

كيف يمكن لأحدنا التحرر من سجنه الفكري الذي يأسر كامل وجوده و لا زال مؤمناً به ؟ قد يصعب ذلك لكنه ممكن إذا اقتلعنا حجارة ذلك السجن.

يعتبر الإيمان البنية التحتية و حجر الأساس لكومة الأفكار، و على قاعدة إيمانية صلبة وقع الإنسان في قبضة تلك الأفكار و عندها أيضاً جاء الخوف و أمسك به... و لكن ماذا لو تجاوزناهما ؟ قد يقول أحدنا: إذا وجدت أفضل مما أنا عليه الآن فسأنتقل إليه، لكن فكرة العبودية لا زالت موجودة.

لا تتحقق الحرية الفكرية بتغيير المعتقد بل بالتحرر منه كلياً.

أثناء زيارته لإحدى القرى قدم إلى بوذا مجموعة رجال أحدهم أعمى فقال البقية « هذا الرجل أعمى و نحن أصدقاؤه المقربون، يرفض هذا الرجل الاعتراف بحقيقة وجود شيء اسمه ضوء، رغم المحاولات العديدة لإقناعه إلا أننا لم نفلح

سوى بإعلان الفشل... كان يقول بأنه يريد لمس الضوء فكيف لنا ذلك ؟ ثم يعود ليقول بأنه إذا لم يكن ممكناً لمس الضوء فيريد سماعه لأن له أذنان فيطلب منا إسماعه صوت الضوء وإلا يريد تذوقه أو شم رائحته. »

من المستحيل إقناع هذا الرجل فلا يمكن تحسس الضوء سوى بالرؤية، لذلك اعتقد صديقنا بأن أصدقاؤه ما اختلقوا تلك القصة إلا لإثبات عماه.

لذلك طلب الأصدقاء من المعلم محاولة إقناعه.

فقال « لست مجنوناً بما فيه الكفاية لأحاول إقناعه... بدأت مصاعب الإنسان على يد من يحاولون شرح أشياء لا نستطيع رؤيتها... الواعظون و المبشرون طاعون للبشرية فهم يخبروننا بأشياء لا نراها. »

ثم تابع « لا يمكنني شرح شيء لهذا الرجل عن الضوء؛ لن أرتكب خطأً بهذه الجسامة... لقد أتيتم إلى المكان غير المناسب... لا يحتاج هذا الصديق واعظاً بل يحتاج طبيباً يعالج عينيه و عندما يتحقق ذلك لن يعود بحاجة للشرح و الوعظ والإفتاء بل سيدرك من تلقاء نفسه. »

اصطحب الرجال صديقهم إلى الطبيب و لحسن الحظ تم علاجه خلال عدة أشهر، في تلك الأثناء كان بوذا قد غادر إلى

قرية أخرى فذهب إليه الرجل الذي كان أعمى وقال « كنت مخطئاً بالفعل، هناك شيء يدعى ضوءً لكنني لم أكن قادراً على إدراكه. »

قال بوذا أخيراً « بالتأكيد كنت مخطئاً، أما الآن فقد عولجت عيناك لأنك رفضت القبول بما قاله الآخرون حتى اختبرته بنفسك، لو أنك قبلت ما قاله أصدقاؤك دون اختبار لانتهى الأمر بالنسبة لك و لما كانت هناك حاجة لعلاج عينيك.»

أن تؤمن يعني أن تصبح عاجزاً عن تحقيق أي فهم، أن تقبل بصمت يعني ألا تستطيع امتلاك أي اختبار فردي، تنتهي رحلتك عندما تتيقن من وجود النور لمجرد إخبار الآخرين لك بذلك، و تستمر رحلتك فقط عندما يكون هناك عدم استقرار يأتي عندما تشعر بأن هناك ما يتحدث عنه الآخرون و لا تستطيع رؤيته لذلك لا يمكنك قبوله... لا يمكنك القبول إلا عندما ترى... « لا أستطيع أن أقبل حتى أرى » هذا هو النوع من القبول الذي يجب أن يسكن أفكارنا.

إن من يطلب منك الإيمان كأنه يقول لك بأنك لست بحاجة لعينيك، كان للمسيح عينان و هذا يكفي؛ كان للحبيب محمد عينان و هذا يكفي فما حاجة كل هذا العالم للعيون...

كان للمعلمين عيون فكتبوا و نقلوا كلما رأوا و ما حاجتنا للرؤية، كل ما علينا هو القراءة و الإيمان... نظروا بأعينهم وما علينا سوى القراءة و الإيمان.

وعظ و تبشير من هذا النوع هو ما أدخل الإنسان في متاهات العمى، و ما زال معظم سكان هذه الأرض متمسكين بعماهم و من المحتمل جداً أن يستمر هذا في المستقبل لأننا و ببساطة قتلنا الدافع الحقيقي لتصحيح هذا العمى و ذلك بقبولنا.

و لكن علينا القول و الإقرار: قد تكون عينا المسيح سليمتان و ثاقبتان كعيون النسور لكنهما ليسا عينيك؛ قد تكون عينا محمد بجمال أجمل الورود لكنهما ليسا عينيك، و قد تكون عيناك عاديتان من حيث الحدة و الجمال لكنهما عيناك و لن تتمكن من الرؤية إلا بهما.

لا يمكن لاعتناق آراء الآخرين أن يوصل أحدنا لأي فهم لذلك على كل منا البحث عن فهمه الفردي و لا يمكن أن تبدأ رحلة البحث عن هذا الفهم إلا بالتخلي عن فكرة الآخر... ما دام هناك بديل خارجي؛ ما دام هناك مزود خارجي لا يمكن لرحلتك أن تبدأ.

يظهر التحدي في الأعماق عند غياب أي دعم خارجي و استحالة تحقيق أي شيء اعتماداً على الآخرين و عندها نبدأ بالبحث عن منهجنا الفريد و المميز.

الإنسان كسول للغاية، فإذا استطاع الحصول على المعرفة دون بذل أية جهود فلم عليه بذل تلك الجهود؛ إذا أمكن تحقيق الاستنارة لمجرد الإيمان بأحدهم فلم على أحدنا الشروع بالإعداد لرحلته الفردية نحوها !! عندما يقول أحدهم لأحدنا «اصعد زورقي و سأوصلك الضفة المقابلة دون عناء و هناك ينتهي الأمر..» دون شك سيفضل الصعود و الاستسلام لنوم مريح.

و لكن لا يمكن لزورق أي كان أن يأخذك لأي مكان و لا يمكن لأحد أن يرى بعيني آخر... لا بد و لا مفر من السير على الأقدام؛ يجب أن ينظر كل منا بعينيه وحده و يجب أن يحيا بتناغم مع نبضات قلبه... يجب أن يحيا أحدنا حياته و يجب أن يموت على حقيقته، فلا يمكن لأحد أن يحيا حياة آخر و لا يمكن له أن يموت ميتةً... إذا كان في هذا العالم ما هو مستحيل فأن يحيا أحدنا حياة الآخر.

جُرح جنديان صديقان أثناء الحرب العالمية الثانية... كانت جراح أحدهما بليغة و يوشك على الموت أما الآخر فكان مجروحاً لكن نجاته محتملة.

عانق الجندي الذي يوشك على الموت صديقه و قال « يجب أن نفترق الآن فحالتي ميؤوس منها لكنني أريد أن أقترح عليك شيئاً: أعطني دفتر سيرتك الذاتية وخذ دفتري، ففي دفترك العديد من الأمور المخجلة أما دفتري فجيد بعض الشيء، وهكذا يعتقد قادة الجيش بأنك ميت و بأني قد نجوت، ستصبح بهذا أكثر احتراماً و يمكنك الحصول على ترقية جيدة... هيا فلنتبادل الدفاتر و الأرقام بسرعة. »

ما اقترحه هذا الجندي ممكن لأنه للجنود أرقام و ليس أسماء و لهم دفاتر سير و ليس أرواح، و بهذه الطريقة يحدث التبادل فيموت السيء و ينجو الجيد.

فأجاب الناجي منهما « اعذرني يا صديقي... يمكنني أن آخذ دفترك و رقمك و يمكنك أن تأخذ دفتري و رقمي لكنني سأبقى أنا، أنا رجل سيء و سأبقى سيئاً -أنا أشرب الخمر والكحول و سأبقى كذلك؛ أذهب للعاهرات و سأبقى كذلك -كم ستبقى السيرة النظيفة نظيفة و كم سيستطيع الدفتر خداع الآخرين ؟ بالعكس سيصبح كلانا سيئاً حيث

ستموت أنت بوصفك الرجل السيء و يبقى السيء الحقيقي حياً... الآن سيقول الناس مات الرجل الجيد و سيقدمون لك الورود، أما إذا أصبحت سيئاً فلن يعطيك أحد وروداً... لا يا صديقي، لا يمكنك أن تصبح أنا و لا يمكنني أن أصبح أنت... لولا حبك لي ما كنت لتقترح هذا لكنه مخالف لقوانين الحياة... تبادل الأدوار في الحياة غير ممكن، لا يمكن لأحد أن يحيا مكان آخر و لا يمكن له أن يموت مكانه... لا يمكن لأحد أن يعرف و يتعلم بالنيابة و لا يمكن له أن يرى بالنيابة. »

من يطلب منك أن تؤمن هو إنسان يطلب منك أن تنظر و ترى بأعين الآخرين من معلمين و قادة... آمنا طويلاً مما أوقعنا بشبكة متشابكة معقدة من الظلمة... اختلق آلاف المعلمين حولنا مقداراً هائلاً من الضجيج ثم اختلق أتباع آلاف المعلمين حولنا أيضاً مقداراً هائلاً من الضجيج، اختلقوا خوفاً مرعباً من الجحيم و طمعاً جشعاً بالجنة، و ببطء تدريجي بدأنا نقبل ما يقولون الأمر الذي أوجد المزيد من التناقضات داخلنا مما أوقف رحلة حياتنا عوضاً عن دفعها نحو الأمام.

أول ما على الإنسان اليقظ هو قول وداعاً لكل أفكاره المتناقضة ثم يقرر « لا أريد أن أؤمن... أريد أن أعرف، في اليوم

الذي أحصل فيه على معرفتي يمكنني استخدام الكلمة «إيمان» و قول ذلك لا يمجد في معجم مصطلحاتي كلمة بهذا الاسم، قول ذلك هو خداع و خداع للذات... لا أستطيع أن أخدع نفسي و أقول بأني أعرف و أنا لا أعرف؛ لا يمكنني أن أقول بأني أرى و أنا لا أرى... محال أن أقبل عن عمى و بصمت. »

هذا لا يعني أن نعمد لنبذ شيء ما، الأمر ببساطة أن نستطيع الوقوف بعيداً عن القبول و بعيداً عن النبذ؛ الأمر ببساطة أن نقول « لا أقبل و لا أرفض؛ لا أقول أن ما قاله محمد أو المسيح خطأ كما لا أقول أنه صحيح لكنني أقول لا أعلم ما الذي قاله محمد؛ لا أعلم ما الذي قاله المسيح و لا أستطيع بالتالي القبول أو الرفض... في اليوم الذي أتحقق فيه من صحة ما قيل يمكنني أن أقبل، أما إذا تبين لي بأنه خاطئ عندها بالطبع لا يمكنني القبول... أما الآن فلا أعلم فكيف لي قول نعم أو لا ؟!!! »

إذا استطاعت أفكارنا أن تنأى بنفسها بعيداً عن القبول و عن الرفض عندها سينهار المأزق الفكري في التو و اللحظة... أجبرت عقولنا على قبول فهم مفاده بأن كل من يؤمن و يعتقد هو متدين و كل من لا يؤمن غير متدين... في الحقيقة كل من يؤمن و يعتقد ليس متديناً، أما غير المؤمن فليس متديناً أيضاً...

المتدين هو الحقيقي و الإنسان الحقيقي لا يؤمن و لا ينكر بكل ما لا يعلم؛ المتدين هو من يرفض رفضاً قاطعاً كل ما لا يعلم... إنه جاهل و لا يحتاج قبولاً و لا رفضاً.

أتستطيع استجماع القوة و الشجاعة لتقود وجودك إلى تلك النقطة المتوسطة ؟ إذا كان نعم سينهار سجنك الفكري في التو و اللحظة.

ختاماً أخي الكريم أطلب منك أن تفكر بما قرأت في هذا البحث؛ أطلب منك أن تبحث و ترى و تتحرى اعتماداً على اختباراتك الذاتية فمن الممكن أن يكون خاطئاً... أما إذا وجدت و شعرت أن فيه بعض الحقيقة؛ إذا وجدت نتيجة البحث و النظر من نافذتك الفكرية بأن هناك حقيقة فيه يمكن عندها أن تصبح تلك الحقائق حقائق بالنسبة لك و ليست بالنسبة لي فقط... عندها لن يكون فهماً لي فقط بل سيصبح فهماً لك أيضاً، و عندها يصبح كل ما تقوم به سبيلاً لقيادة حياتك نحو شواطئ الحكمة و اليقظة و الصحوة، أما ما تقوم به اعتماداً على الإيمان و الاعتقاد لن يقودك إلا نحو المزيد من الظلمة و الضياع.

شد القلب

عرفنا سابقاً أن الدماغ هو مركز التفكير و بأن القلب هو مركز المشاعر أما طاقة الحياة فمركزها السرة... يحدث كل من التفكير، المقارنة و التبصر في الدماغ في الفصول السابقة عن ذلك، أما المشاعر و العواطف كالحب، الكراهية، التكبر و الغضب فتحدث من خلال القلب ونحصل على طاقة الحياة من خلال السرة.

كما رأينا أن خلايا الدماغ واقعة تحت تأثير شد مفرط و علينا أن نجعلها تسترخي بعض الشيء... أوتار قيثارة التفكير مفرطة الشد بحيث لا يمكن للموسيقا أن تصدر عنها بل توشك أن تنقطع عوضاً عن ذلك مما أدخلنا في حالة من التوتر والاضطراب؛ أصبحت أوتار أدمغتنا بحاجة ملحة لإنقاص شدها و لو قليلاً لتتمكن الموسيقا من الانبعاث منها.

أما القلب ففي حالة معاكسة تماماً فأوتار قيثارته مفرطة الرخاوة و هي بحاجة لزيادة الشد و لو قليلاً مما يجعلها مناسبة لانبعاث الموسيقا... يجب إذاً تخفيض الشد في الدماغ و زيادته في القلب.

عندما تصبح أوتار كل منهما مناسبة الشد و متوازنة تتبع الموسيقا التي يمكن من خلالها القيام بالرحلة نحو السرة.
تحدثنا عن الفكر و مشاكله و طرق جعله هادئاً و ساكناً بما يكافئ ما أسميناه تخفيض الشد في أوتاره و سنتحدث الآن عن كيفية زيادة الشد في أوتار القلب.
علينا ألا ننسى في البداية أننا نعيش في ظل ما يشبه اللعنة و هي إهمال و ابتذال وظائف القلب و أهميتها كنا نعتبر في معظم الحالات أن وظائف القلب ذات دلالات سلبية مما أوقعها في صف لعنتنا بدلاً من اهتمامنا، و لقد كان لهذا الجهل و لهذا الخطأ أثره التدميري غير القابل للتصديق... فقد عمدنا عن جهل لإدانة الغضب، احتقار التكبر و ابتذال الكراهية دون أن نعلم بأن هذه الصفات هي تحول لنفس الصفات التي اعتدنا على امتداحها.
نمتدح العفو و التسامح و ندين الغضب دون أن نعلم بأن التسامح و العفو هو شكل متحول لطاقة الغضب نفسها، نمتدح الحب و نحتقر الكراهية دون أن نعلم بأن الطاقة التي تظهر ككراهية يمكن أن تتحول و تظهر كحب... إن الطاقة الكامنة وراء كل من الحالتين السابقتين هي نفسها، وبالمثل ندين التكبر و نمتدح التواضع دون أن نعلم بأن الطاقة

التي تظهر كتكبر يمكن أن تظهر كتواضع... لا يوجد أي تناقض أو تضارب بينهما فهما مظهران لطاقة واحدة.

إذا كانت أوتار قيثارة القلب قليلة أو مفرطة الشد و قام الموسيقي بمداعبتها فسيكون الصوت المنبعث غير موسيقي متعب للأذن و مرعب للفكر، و احتجاجاً على هذا الصوت الشاذ يقوم أحدنا بتقطيع الأوتار و رمي القيثارة بعيداً دون أن يعلم أنه يمكن و لكن بإعادة إحكام الأوتار يمكن لصوت موسيقي جميل أن ينبعث من الآلة نفسها.

لا يعتبر الصوت الشاذ خطأً في القيثارة بل خطأً في عملية الإحكام، فإذا أعدنا إحكام الآلة نفسها التي أصدرت قبل قليل صوتاً شاذاً مزعجاً ستصدر دون شك صوتاً عذباً يطرب الروح.

يمكن لمجموعة الأوتار نفسها أن تصدر مقطوعة نظامية جميلة كما يمكن لها أن تصدر مقطوعة شاذة، هناك تناقض وتضارب ظاهري بين المقطوعتين و بين تأثيرهما فينا فبينما تبعث الأولى الفرح في الروح تقود الثانية إلى حالة من الاشمئزاز، لكن القيثارة نفسها و الأوتار لم تتغير.

يظهر الغضب في أحدنا عندما يفقد القلب توازنه، و إذا أعيد التوازن إلى ذلك القلب فإن الطاقة نفسها التي ظهرت كغضب

ستتحول إلى عفو و تسامح... ما التسامح إلا شكل متحول للغضب.

إذا ولد أي طفل فاقداً للغضب يستحيل عندئذ أن يظهر التسامح في حياته، إذا لم تكن هناك إمكانية للكراهية في قلب الطفل فلا توجد إمكانية للحب في حياته أيضاً.

لكننا لا زلنا نعاني من وهم تناقض مشاعر كهذه و نظن أن القضاء على أحدها يفسح المجال لتطور الآخر، وهذا خاطئ وخطير... لا يظهر التسامح بالقضاء على الغضب بل بتحويله؛ لا يعد التسامح تدميراً للغضب بل هو غضب أعيد إحكام أوتاره.

لذلك إذا كنا أعداءً للغضب و حاولنا القضاء عليه نكون في الوقت نفسه منهمكين بمحاولة تدمير القيثارة بأكملها وعندها يصبح هذا الإنسان ضعيفاً منهكاً و لا يمكن لأي من وظائف القلب عنده أن تتطور بشكل صحيح... تشبه هذه الحالة حالة أحدهم يكدس أكواماً من السماد الطبيعي ذي الرائحة المزعجة حول منزله بهدف زراعة الورود، هذا ممكن بالطبع و لكن ليس بتكديس السماد حول المنزل بل بنشره في الحديقة ثم زراعة بذور الورود... ينتشر السماد عندها في أجزاء النبتة عبر جذورها مسبباً تفتح الأزهار... و بذلك يتحول السماد إلى نبات و تتحول رائحته المزعجة إلى أريج زهور.

تدعى عملية التحول هذه يوغا؛ تدعى ديناً... الدين هو فن تحويل الأشياء المبتذلة إلى أشياء ذات قيمة و دلالة.

لكننا نرتكب أخطاءً قاتلة انتحارية باسم الدين و ذلك بعدم تحويلنا للوعي... تقوم حياتنا على مبادئ أساسية هي في الحقيقة خاطئة... ظل الجحيم عميق يتربص بنا... لا، لم يكتمل نمو قلوبنا لإهمالنا وظائفها الأساسية و علينا أن نعير هذه الحقيقة بعض الفهم.

للغضب دور هام في حياة الإنسان صحيح النمو، للغضب لونه المميز فإذا أهملناه ستبدو لوحة حياتنا غير مكتملة، لكننا نبدأ منذ الطفولة تعليم الأطفال كبت بعض وظائف القلب وبالتالي سيقوم الطفل بكبت كل ما نراه سيئاً، قد لا ندرك أن القلب المكبوت قلب ضعيف متخبط و تكون أوتاره متوازنة الإحكام.

سيحصل هذا الكبت في الدماغ لأن ثقافتنا لا تتعداه عمقاً. عندما نقول لفلان مثلاً « الغضب سيء فلا تغضب. » بالطبع لن تصل هذه التعليمة إلى القلب لأنه لا يملك آذاناً يسمع بها و لا مفردات يتحدث بها، ستصل التعليمة إلى الدماغ الذي لا يستطيع تغيير القلب و هنا تقع المشكلة... يفكر الدماغ و يقول « لا أريد أن أغضب. » أما القلب فلا يعلم عن هذا شيئاً و لا

يملك أي اتصال بالدماغ... لذلك نغضب كل يوم ثم بعد غضبنا ننحدم و نقرر عدم العودة إلى الغضب ثانية، أما في اليوم التالي فنعاود الكرة من جديد نغضب، نندم ثم نقرر ثم نصاب بالدهشة.

قد لا تكون مدركاً بأن المركز الذي يشعر بالغضب مختلف تماماً عن المركز الذي يقرر، فالدماغ هو الذي يقرر عدم الغضب و هو مختلف بالطبع عن المركز الذي يشعر بالغضب وهو القلب، لذلك لن يتأثر غضبك مهما قررت و مهما ندمت، مهما قررت و مهما ندمت ستبقى تشعر بالغضب ثم تشعر بالندم و الاضطراب... يتخذ أول مركز القرار بعدم الغضب ثم لا يصل هذا القرار إلى المركز الثاني و النتيجة هي انهيارنا الداخلي لعدم تفهمنا هذه الحقيقة.

يعمل القلب بطرق محددة و يحتاج أشياء محددة ليتطور وسيصبح مضطرباً إذا تدخل الدماغ بوظائفه، و هذا ما أصاب قلوبنا جميعاً فقد عمها الاضطراب و الفوضى، الشيء الأول المؤكد هو وجوب تحويل الغضب و ليس القضاء عليه.

لذلك أول ما نحتاجه لشد القلب هو تطوير وظائفه كاملة وعدم تدمير أي منها، قد تصاب بالدهشة و تتساءل « أيتوجب على أحدنا تطوير الغضب ؟!! »بالطبع نحتاج الغضب لأنه هو

من سيتحول يوماً ما إلى عفو و تسامح و إلا لما أمكن لهذا الأخير التطور...

إذا قرأت قصص حياة العظماء ممن اشتهروا التسامح ستلاحظ بأنهم كانوا كثيري الغضب في بداية حياتهم... إن للغضب بهائه و وقاره الخاص، إذا قرأت قصص حياة من حققوا العزوبية ستجد أنهم كانوا جنسيين للغاية في بداية حياتهم { لا تعني العزوبية هنا عدم الزواج و إنما مرحلة روحية متقدمة تؤدي إلى معرفة الألوهية، و يعتبر الجنس أولى مراحلها. }

أصبح الزعيم الهندي غاندي مثلاً أعزباً عظيماً علماً بأنه كان شديد الولع بالجنس في شبابه، حتى أنه لم يستطع الابتعاد عن زوجته في الليلة التي أخبره الأطباء بأن والده سيموت فيها، أحدثت هذه الحادثة صدمة لدى غاندي كانت أول أسباب إشراق العزوبية في حياته.

كيف يحصل هذا ؟ عادة ما تكون الطاقات حيادية و معتدلة و كل ما يحصل هو تغير في الاتجاه، حيث تبدأ الطاقة التي تتدفق نحو الجنس بالتدفق بالاتجاه المعاكس.

عندما تكون هناك وفرة في الطاقة يمكنها التدفق في اتجاه آخر و عندما لا توجد طاقة أبداً لا يمكن الذهاب إلى أي مكان... ما الذي سيذهب ؟.

يجب أن تطور جميع الطاقات بشكل صحيح لكن تعاليمنا الأخلاقية قادتنا إلى وجود مأساوي أشبه بالعاجز.

قدم أميران شابان شقيقان إلى بلاط أحد الملوك و قالا « نحن نبحث عن عمل.»

فسأل الملك « ماذا تجيدان ؟ ».

فأجابا « لا نجيد شيئاً، لكننا رجال شجعان و قد تكون بحاجة إلينا. »

فقال « و هل لديكما شهادة في الشجاعة؛ هل لديكما ما يثبت شجاعتكما ؟ ».

ضحك الأميران و قالا « أيمكن هذا؛ أتوجد شهادة للشجاعة ؟ نحن شجعان و حسب. »

فقال الملك « لن يكون بمقدوركما الحصول على عمل دون شهادة. »

عاد الأمراء للضحك مرة ثانية، و لكن في هذه المرة استل كل منهما سيفه و غرسه في صدر الآخر فسقطا على الأرض ينزفان، تابعا الضحك و قالا » يبدو أنك ملك لا تعلم أنه لا توجد شهادة للشجاعة غير الموت؛ شهادة واحدة للشجاعة هي الموت!! » مات الشابان و امتلأت عينا الملك بالدموع فلم يكن يتخيل أن مثل هذا ممكن الحدوث.

أرسل الملك بطلب أحد قادة الجيش و قال « شاهدت للتو حادثة منقطعة النظير في الشجاعة، قتل كل من أميرين الآخر لمجرد سؤالي لهما عن شهادة في الشجاعة. »

فأجاب العسكري « لقد أخطأت غاية الخطأ في طلبك هذا، تغلي دماء هذه الجماعة من الرجال عند التعرض لأسئلة كهذه، فلا توجد شهادة للشجاعة غير الموت، الجبناء والضعفاء فقط يحملون شهادات تقول بأنهم يظنون أنفسهم شجعاناً، كيف يمكن لرجل شجاع أن يحمل ورقة عليها هراء أقلام؟ لقد أخطأت أيها الملك و لم تجد التحدث مع هؤلاء... كانا مصيبين فعلاً و لم يكن أمامهما خيار آخر... كان خياراً واضحاً.»

أن تتحلى شخصية بغضب متألق كهذا؛ أن تتحلى شخصية بكبرياء متألق كهذا هو ما تحتاجه إنسانيتنا، ليس الموت بالضرورة و إنما التحلي بأشكال التألق، القوة و الشجاعة التي تسببت حضارتنا بفقدانها... نعتقد واهمين أننا نقدم لإنساننا و أطفالنا تثقيفاً مميزاً لكن الحقيقة غير كذلك، ينمو و يتطور الأطفال بطريقة مغرقة في الخطأ و لا يمتلكون أياً من صفات الإنسان الحقيقي داخلهم.

كتب راهب بوذي مشهور في سيرته الذاتية « أرسلت لأدرس في الجامعة و أنا في الخامسة من عمري... أخبرني والدي في مساء أحد الأيام بأنه يتوجب علي المغادرة في صباح اليوم التالي، وقال أيضاً « لن نستطيع أنا و والدتك التواجد لوداعك، لن تستطيع والدتك التواجد لأنها ستبكي عند مغادرتك و إذا رأيتها تبكي ستنظر خلفك و لم يسبق أن نظر رجل من عائلتنا خلفه، ولن أكون موجوداً لأنك وبعد امتطائك للحصان لو نظرت خلفك و لو مرة واحدة لن تكون ولدي أبداً و ستكون أبواب هذا المنزل مغلقة في وجهك للأبد، سيودعك الخدم في الغد... تذكر: لا تنظر خلفك بعد ركوب الحصان... لم يسبق و نظر شخص من عائلتنا وراءه.» »

أيمكن توقع هذا من طفل في الخامسة ؟... أوقظ الطفل عند الرابعة فجراً، وضع على الحصان و أمر الخادم بوداعه، فور مغادرته عاد الخادم و قال « كن حذراً يا بني، ستمكن رؤيتك حتى مفترق الطرق و سيراقبك والدك من أعلى الدرج، لا تنظر خلفك قبل ذلك المفترق، غادر جميع أطفال هذا المنزل بنفس الطريقة و لم يلتفت أي منهم وراءه..» ثم قال أيضاً « أنت ذاهب إلى مكان غير اعتيادي فالجامعة التي ستدرس فيها سبق ودرس فيها قبلك عظماء الدولة، هناك اختبار قبول و ليس من

السهل تجاوزه، عليك فعل المستحيل لتتجاوزه لأنك في حال فشلك لن يكون لك مكان في هذا البيت. »

كل هذه القسوة لطفل في الخامسة !!؟ ثم تابع يكتب في سيرته الذاتية « ركبت الحصان و بدأت الدموع تتساقط من عيني و لكن، كيف لي النظر إلى الوراء؛ كيف لي النظر إلى والدي و منزلي و أنا مغادر إلى المجهول، كنت صغيراً لكنني لم أستطع النظر إلى الوراء فلم يسبق لأحد من عائلتنا أن فعلها و إذا حصل و رآني والدي أفعل ذلك سأطرد من هذا المنزل إلى الأبد، لذلك تمالكت نفسي و نظرت إلى الأمام... لم أنظر ورائي مطلقاً. »

سيولد شيء ما في هذا الطفل؛ ستولد طاقة وقوة؛ ستولد وتستيقظ طاقة الحياة فيه مما سيقوي نظام سرته... لم يكن هذا الوالد قاسياً بتعامله مع ابنه بل كان في غاية الحب، أما ما نلاحظه عند الآباء و الأمهات و نسميه حباً فهو في الحقيقة ليس كذلك بل هو ضعف يضعف معه المراكز الداخلية وبالتالي يحيا أحدنا مفتقراً للقوة و العزيمة الداخلية.

وصل الطفل ذو الأعوام الخمسة إلى المدرسة و لا يمكن التنبؤ بقدراته... قال المدير « سيكون امتحان الدخول صعباً... اجلس هناك بجوار الباب، أغمض عينيك و انتظر عودتي، هذا هو

امتحانك و لو حدث و فتحت عينيك سنعيدك من حيث أتيت، إن من لا يمتلك مثل هذه القوة الداخلية لتجعله يجلس مغمض العينين لفترة لا يستطيع تعلم شيء و عليه أن يبحث لنفسه عن شيء يفعله، أما أبوابنا فمغلقة أمامه. »

جلس الطفل بجانب المدخل حيث طلب منه و أغمض عينيه بدأ الذباب يحوم حوله و يضايقه لكنه علم بأن عليه المقاومة وسينتهي كل شيء لمجرد فتح عينيه، كان بقية الأولاد في المدرسة يدخلون و يخرجون و منهم من يدفعه و منهم من يضايقه بوسائل أخرى لكنه بقي مصمماً على عدم فتح عينيه و إلا سيذهب كل شيء و تذكر كلمات الخادم بأنه إذا لم يجتز امتحان الدخول سيحرم من منزله إلى الأبد .

مرت الساعة الأولى تليها الثانية و الطفل لا زال جالساً مغمض العينين و يخشى فتحهما حتى عن طريق الخطأ ، كانت هناك بعض الإغراءات و بعض الدوافع لتجعله يفتحهما فالطريق ممتلئة بالناس و الأطفال يركضون حوله أما الذباب فلا زال على عادته، دفعه بعض الأطفال و رماه بعضهم الآخر بالحصى... أراد فتح عينيه ليرى فيما إذا عاد معلمه أم لا وهكذا مرت الساعات الأولى و الثانية و الثالثة... مكث الطفل في جلسته تلك ست ساعات.

عاد المعلم بعد مضي الساعات الست و قال « انتهى امتحانك يا بني، تعال... ستكون كتلة من القوة و الإرادة... لديك من الإصرار الداخلي ما يمكنك من فعل ما تريد، شيء كبير أن يتمكن طفل بعمرك من الجلوس ست ساعات مغمض العينين!»
عانقه المعلم ثم تابع قائلاً « لا تقلق، طلبنا من هؤلاء الأطفال مضايقتك بعض الشيء ليكون في ذلك محاولة لجعلك تفتح عينيك. »
ثم كتب الراهب « كنت أعتقد بأنني أعامل بقسوة مفرطة، أما الآن في نهاية حياتي فأنا أفيض شكراً و امتناناً لهؤلاء الذين كانوا قساة معي... لقد أيقظوا شيئاً ما في داخلي؛ قوة كانت كامنة و ثابتة جعلوها تستيقظ. »
أما ما نفعله فالعكس تماماً حيث نقول « لا تعامل الأطفال بغضب؛ لا تضربهم.. » توقفت و منعت كل أشكال العقوبات الجسدية في العالم و هذا لا يجوز... إن إخضاع الأطفال لبعض العقوبات الجسدية بدافع الحب و ليس نتيجة العداوة يؤدي إلى استيقاظ مراكزهم الداخلية كما يؤدي إلى تقوية واستقامة أعمدتهم الفقارية و يؤدي أيضاً إلى ظهور العزيمة و الإصرار كما تظهر مشاعر الغضب و الكبرياء مولدة قوة داخلية .

أما نحن الآن فبشر دون أعمدة فقارية، يمكننا أن نزحف على الأرض و لا يمكننا أن نطير كالنسور... أصبحنا أشبه بإنسان زاحف دون عمود فقري... نفعل كل ذلك و نظنه بدافع الحب.

نتعلم ألا نغضب؛ نتعلم ألا نبدي أي شكل من أشكال القوة ونتعلم بالتالي أن نكون ضعفاء.

لا يمكن أن توجد الروح في حياة إنسان كهذا؛ لا يمكن أن توجد فيه لأنه لا يمتلك داخله المشاعر القلبية القوية التي تحتاجها.

كانت هناك حرب و عداوة بين الخليفة عمر و أحدهم استمرت لاثني عشر عاماً، و في آخر معركة بينهما تمكن عمر من قتل حصان خصمه و بصعوبة فسقط الخصم أرضاً، استل عمر حربته و جلس على صدر عدوه يريد قتله إلا أن ذلك العدو بصق في وجهه، عندها نهض عمر و رمى الحربة جانباً فقال الخصم مذهولاً « بعد اثني عشر عاماً من العداوة تفوت فرصة قتلي، لم تفعل هذا يا عمر »

فقال عمر « كنت أظنك عدواً كفءً بي، و لكن بعد أن ظهرت تفاهتك بالبصق لم تعد هناك حاجة لقتلك، إن ما فعلت لا يليق بالشجعان و سأرتكب خطأً بقتلك، ماذا سيقول العالم

إذا أنا قتلت رجلاً ضعيفاً لا يقوى على أكثر من البصق في الوجوه ؟ انتهى كل شيء و لن أرتكب خطأ قتلك. »

كانوا أناساً رائعين بالفعل أما اليوم فقد دمر اختراع أدوات الحرب الحديثة هذه الرموز في وجودنا الإنساني.

اعتاد القدماء في المعارك المباشرة الإفصاح عن مكنونات داخلهم، أما في الحرب الحديثة ما على الجندي سوى إلقاء القنابل من الطائرات و ضغط الأزرار و لا علاقة لهذا بالشجاعة و لا بالمراكز الداخلية للإنسان.

تتضاءل باستمرار كل إمكانية لنهوض و إشراق ما هو كامن في وجودنا الداخلي حتى أنه لم يعد من المستغرب ما نحن عليه من ضعف و شبه موت فوجودنا الأصلي الحقيقي لا يستطيع التطور و لا تستطيع العناصر المختلفة فيه الاتحاد للتعبير عن نفسها.

أنظمتنا التعليمية مدهشة و غريبة... علينا تطوير و تقوية كامل وظائف القلب إلى أقصى درجة ممكنة، يجب وضع هذا التطوير في مقدمة أولوياتنا لأنه لا يمكن التحويل إلا عند الدرجة القصوى للتطور و دونها لا يمكن... لا يكفي تسخين الماء لتحويله إلى بخار، فالماء الساخن لا زال ماءً و لا يحدث التبخر إلا عند الدرجة القصوى لتسخين الماء و هي مئة درجة...

يحدث التحول عند الدرجة القصوى أما الماء الساخن و الدافئ فهو من منظور التحول ماء منقوص الحرارة.

جميعنا بشر منقوصو الحرارة و لا يمكن أن يحدث أي تحول في حياتنا... يجب تطوير كل وظائف عقولنا و قلوبنا حتى درجة معينة و عندها فقط يمكن للثورة أن تحدث؛ عندها فقط يمكننا التغير.

لكننا أعداء للغضب؛ أعداء للطمع و أصبحنا بهذا بشراً منقوصي الحرارة و بقيت حياتنا منقوصة الحرارة و عليه لا يمكن لأي تحول الحدوث... شيء مهم علينا أن نفهمه: يجب تطوير جميع وظائف الشخصية و القلب بشكل صحيح وكامل، فللغضب الشديد جماله الذي قد لا يظهر لنا حيث يمكن لطاقة الغضب الشديد أن تضيف إسهامها المميز في الشخصية و كذلك جميع المشاعر التي علينا تطويرها إلى الحد الأقصى.

إذا كان علينا في البداية التطوير الأقصى فما هي الخطوة التالية ؟ الخطوة التالية هي وجوب تحلينا بالوعي و ليس الكبت فكلما كبتنا الشعور في القلب تعمق في لا وعينا أكثر.

صحيح أننا لا نرى ما نكبت لكنه يذهب إلى الظلمة... لا، يجب أن تبقى جميع طاقات القلب قابلة للرؤية بوضوح، فإذا شعرت بالغضب فلا تحاول كبته بترديد كلمات الألوهية والاستغفار و ما شابهها بل حاول أن تجلس وحيداً و أن تتأمل على ذلك الغضب، انظر إليه و حاول أن تعرف ما هو هذا الغضب و ما هي طاقته ؟ و من أين أتى و لماذا ؟ كيف سيطر على تفكيري و أسرني ؟.

إن محاولات التأمل على الغضب و معرفته في الوحدة تمكنك ببطء من أن تصبح سيده و من يصبح سيداً لغضبه يصبح قوياً؛ يصبح سيداً لنفسه.

لا نريد الصراع مع الغضب بل نريد معرفته لأنه لا توجد طاقة أقوى من المعرفة و لا توجد حماقة أكبر من صراع أحدنا مع طاقاته، يشبه صراع الإنسان مع طاقاته صراعاً بين يدي الإنسان نفسه حيث تتدفق نفس الطاقة في كلتا اليدين ثم لا يوجد منتصر و لكن ينهزم ذلك الأحمق.

طاقة من في الغضب ؟ إنها طاقتك لكنك من يصر على صراعها، إذا أنت قسمت نفسك و بدأ كل قسم يصارع الآخر فما الذي ستجنيه ؟ ستتابع الانقسام، التحطم و الانحلال و لن

تعود شخصاً موحداً ، لا يمكن لمن يصارع نفسه أن يحقق سوى الهزيمة... لا تصارع طاقاتك و لا تقاتلها بل تعرف عليها .

يجب علينا إذاً التعرف بوعي و ليس الكبت مهما كانت الطاقة و في أي وقت ظهرت... تعرف بوعي و لا تكبت فنحن تجمع من طاقات مجهولة؛ نحن مركز لطاقات مجهولة.

تجعل المعرفة الإنسان سيداً و في داخلنا العديد من الطاقات المتقدة... الغضب يتألق، الكراهية تتوهج و الحب يتألق عندما لا نستطيع معرفة هذه الطاقات سنخشى ما يمكن أن يحدث لكن المعرفة تجعلنا سادة علينا.

اجعل حياتك مختبراً داخلياً و ابدأ التعرف على هذه الطاقات بالمراقبة و الملاحظة لا بالكبت، لا تشعر بالخوف و لو عن طريق الخطأ ، حاول أن تعرف ما الذي يوجد في الداخل، فإذا شعرت بالغضب فأنت محظوظ و عليك أن تشعر بالشكر لمن جعلك تغضب فقد سمح بظهور طاقة داخلك و لديك الآن فرصة لتنظر إليها... انظر بصمت؛ انظر وحيداً و ابحث لتعرف ما هي.

يزداد فهمك عمقاً كلما ازددت معرفة كلما أصبحت سيداً أقوى لغضبك ستصبح أكثر قدرة على التحكم به، و في اليوم الذي تصبح فيه سيداً لغضبك تصبح قادراً على تحويله .

لا تستطيع تحويل ما لست سيداً له و لا تستطيع تغيير ما لست سيداً له، و تذكر : لا يمكنك أن تكون سيداً لمن تصارع و تقاتل لأنه يستحيل أن تصبح سيداً و معلماً لعدوك، يمكنك أن تصبح معلماً و سيداً لصديق، أما إذا أصبحت عدواً لطاقاتك الداخلية فلا يمكنك أن تكون سيداً لها ... لا تستطيع أن تنتصر دون حب أو صداقة.

لا تخشى و لا تحتقر هذا الكنز غير المحدود من الطاقات داخلك بل ابدأ بالتعرف عليه.

هناك الكثير مما هو مختبئ في الداخل و لا زلنا في بداية الحياة الإنسانية، من المحتمل مثلاً أن يأتي بعد عشرة آلاف عام أو بعد خمسة و عشرين ألف عام جيل جديد من الإنسان ليعيش على هذه الأرض... يقول العلماء بأن ما يقارب نصف الدماغ الإنساني لا زال غير مستعمل إلى الآن و بالطبع لا يمكن أن يكون في الطبيعة شيء عديم الحاجة أو فائض عنها... ربما سنحتاج هذا الجزء إذا ازدادت معارفنا و خبراتنا إلى حد بعيد وعندها يستحيل تخيل ما الذي سيكون الإنسان قادراً عليه.

لا يوجد في عالم الإنسان الأعمى شيء يسمى ضوءً، فعندما لا توجد عيون لا يوجد ضوء... نمتلك الآن خمس حواس تمكننا من إدراك جزء من العالم، و من يدري ما الذي سنكون

قادرين على إدراكه لو امتلكنا حاسة سادسة و لو امتلكنا حاسة سابعة لازداد بالتأكيد مستوى إدراكنا... و فينا انطوى العالم الأكبر.
حياتنا قصيرة و نعلم القليل كلما تعرفنا على داخلنا أكثر؛ كلما استطعنا الدخول أعمق تزداد طاقة حياتنا تطوراً و تزداد الروح تبلوراً و وضوحاً.
تذكر دائماً: يجب عدم كبت أي من الطاقات بل تجب معرفتها؛ ملاحظتها و النظر باتجاهها ثم رؤيتها... يختفي الغضب عندما تجلس بصمت لتراقبه... إذا بدأت بمراقبة المشاعر الجنسية التي تهاجم فكرك و تنظر إليها فستتلاشى من تلقاء نفسها ... يظهر الجنس في اللاوعي و يختفي بالمراقبة.
ستلاحظ عند المراقبة أنك اكتشفت شيئاً مثيراً : باستثناء اللاوعي لا يوجد أي سيطرة و لا أي قوة لكل من الغضب، الطمع و الجنس و تختفي جميعها بالمراقبة و الوعي.
كان لأوشو صديق يعرفه و كان هذا الصديق كثير الغضب و ذات مرة قال « إني متعب للغاية مع هذه المشكلة، أعطني طريقة للتخلص منها دون أن تطلب مني فعل شيء، لأنني كثيراً ما أعطيت حلولاً و لم أقدر على فعل شيء و أظن بأني قادر على فعل شيء.»

أعطاه أوشو ورقة كتب عليها « أنا الآن أشعر بالغضب..» وقال « احتفظ بها في جيبك و اقرأها عندما تشعر بالغضب، اقرأها و أعدها إلى جيبك ثانية..» و قال أيضاً هذا أقل ما يمكن فعله، فقط اقرأها و أعدها... » قال الصديق بأنه سيحاول.

التقى أوشو بصديقه بعد ثلاثة أشهر و سأله « ماذا حصل معك؟».

فقال الصديق « مدهش ! عملت هذه الورقة كتعويذة، عندما أشعر بالغضب أخرج الورقة أقرأها ثم... في اللحظة التي أمسك فيها الورقة تصاب بالخدر كل من يداي و رجلاي، و عندما أضع يدي بجيبي أدرك أنني أغضب و عندها أشعر باسترخاء شيء داخلي، و تختفي فجأة كل سيطرة داخلية للغضب على وجودي، أما الآن فأشعر بالراحة و يختفي الغضب لمجرد امتداد يدي إلى جيبي... لا حاجة الآن لقراءة الورقة بعد اليوم فعندما أشعر بالغضب أنظر إليها في جيبي. »

ثم سأل الصديق « كيف استطاعت تلك الورقة فعل ذلك ؟ ما هو السر ؟ ».

فقال أوشو « الأمر بسيط و لا توجد أسرار تسيطر عليك في حالة اللاوعي كل الانحرافات و اللاتوازنات التي في الفكر تختفي من تلقاء نفسها عندما تستعيد وعيك . »

ستحصل على نتيجتين من عملية المراقبة هذه، أولاهما هي تطوير المعرفة حول الطاقات الداخلية مما يجعل الإنسان شيداً لها و ثانيهما تناقص سيطرة تلك الطاقات عليك... في البداية ستشعر بالغضب ثم بعد ذلك بقليل تبدأ المراقبة، بعد فترة ستلاحظ أن المراقبة بدأت تظهر مع الغضب في نفس اللحظة، مع الاستمرار على هذه الوتيرة ستلاحظ ظهور الوعي و المراقبة على مقربة من ظهور الغضب -قبله بالطبع -و بعد ذلك اليوم ستكون المراقبة في المقدمة و لا توجد إمكانية لظهور الغضب.

قد يكون وعي الأشياء قبل حدوثها ذا قيمة... فالشعور بالحزن مثلاً عديم القيمة لأنه يأتي متأخراً و لا يمكن لغير البكاء والدموع القدوم بعده و هي أشياء عديمة القيمة أيضاً فلا توجد إمكانية للتراجع عما حدث فالتغيير هنا مستحيل، و لكن يمكن تغيير شيء لم يحدث... الشعور بالحزن تعبير عن الألم بعد وقوع شيء ما فهو عديم القيمة و المعنى... أن تشعر بالغضب خطأ أول ثم أن تشعر بالحزن عليه خطأ إضافي تتسبب معه لنفسك باضطراب غير ضروري و غير ذي قيمة... إننا بحاجة لوعي مسبق يمكن تطويره من خلال مراقبة جميع المشاعر في القلب.

الخطوة الثالثة هي التحويل... يمكن تحويل جميع وظائف القلب فلكل شيء أشكال عدة و يمكنه التغير إلى الحالة المعاكسة، كما لا توجد طاقة لا يمكن تحويلها إلى اتجاه حسن، أي يمكن لكل ما هو مؤذ أن يصبح مفيداً فالجيد و السيء؛ الضرر و الإفادة اتجاهان لا غير ... يمكن تغيير الأشياء فقط عن طريق تحويلها و ذلك بتغيير الاتجاهات.

تخيل أحدهم يغادر قريتك راكضاً ثم توقف ليسألك « كم تبعد قريتك من هنا ؟ ».

ستجيبه بالطبع « إذا تابعت الركض في نفس اتجاهك هذا فأنت بحاجة للدوران حول العالم لتصلها، أما إذا استدرت بمقدار مئة و ثمانين درجة فستكون أقرب قرية إليك. »... تغيير في الاتجاه لا غير.

إذا تابعنا السير في الاتجاه الذي نسير فيه الآن فلن نصل إلى أي مكان حتى لو قمنا بالدوران حول الأرض كاملة فالأرض صغيرة و الفكر ضخم و كبير، يمكن الدوران حول الأرض أما الدوران حول الفكر فمستحيل لأنه غير منته، إنها رحلة طويلة و شاقة فلذلك فالخطوة الثالثة هي إدراك كيفية تغيير الاتجاه لاستحالة الدوران.

نسير الآن في الاتجاه الخاطئ... و ما الإثبات على ذلك كلما تقدمنا أكثر أصبحنا أكثر تفاهة؛ كلما تقدمنا أكثر أصبحنا أكثر جزناً؛ كلما تقدمنا أكثر أصبحنا أكثر اضطراباً كلما تقدمنا أكثر امتلأنا بالظلمة أكثر ... هذا هو الإثبات؛ إذا كانت هذه هي حالنا فمن المؤكد أننا نسير في اتجاه غير صحيح.

الفرح هو المقياس الوحيد في الحياة، فإذا لم تكن حياتك سعيدة فتأكد أنك تسير في الاتجاه غير الصحيح... المعاناة دليل الاتجاه الخاطئ و الفرح دليل الاتجاه الصحيح هذا هو المقياس الوحيد ثم لا حاجة لقراءة النصوص و لا حاجة لسؤال أي معلم... كل ما تحتاجه هو أن تنظر و تعرف أتصبح حياتك أكثر سعادة؛ أتزداد سعادتك عمقاً ؟ إذا كان نعم فأنت في الاتجاه الصحيح، أما إذا كانت المعاناة و الألم هي التي في تزايد فأنت في الاتجاه غير الصحيح.

عادةً ما يقول كبار السن بأن طفولتهم كانت سعيدة للغاية، فما معنى هذا ؟ أيعني أنهم نشأوا بطريقة خاطئة... الطفولة بداية للحياة و هي فترة الفرح أما في النهاية فحزن، البداية سعيدة و النهاية حزينة، ألا يعني هذا أن الحياة تسير باتجاه خاطئ ؟ و العكس هو الذي يجب أن يحدث... ما يجب أن

يحدث هو أن تكون الطفولة بداية للفرح ثم نزداد فرحاً يوماً بعد يوم، و بالتالي يجب أن نقول في نهاية حياتنا « كانت الطفولة المرحلة الأكثر ألماً لأنها البداية. »

إذا ذهب أحد الطلاب إلى الجامعة بهدف الدراسة لكنه بعد فترة من الزمن فاجأنا بقوله « بدأت المعارف التي حصلت عليها في البداية بالتلاشي. » و عندها سنسأله « ألست تدرس ؟ ألا تحصل على معارف جديدة ؟ » يمكننا أن نفهم لو أنه قال مثلاً « كنت جاهلاً في البداية و من الطبيعي أن أكون الآن و بعد فترة من الدراسة أكثر معرفة من البداية... » أما أن يعرف أقل فهذا غريب بالفعل.

نقول جميعنا بأننا كنا أكثر سعادة في الطفولة، و ينشد الشعراء قصائدهم عن فرحها... أما يجب أن نصاب بالجنون ؟! إذا كانت الطفولة فرحاً و ما يليها حزن ألا يعني هذا أننا فقدنا حياتنا ؟ ألم يكن من الأفضل لو متنا و نحن أطفال ؟ كنا على الأقل سننعم بميتة سعيدة، أما الآن فنموت يسكننا الحزن... يا لهُ من محظوظ ذلك من مات طفلاً فقد مات سعيداً.

كلما عاش أحدنا أطول يجب أن يزداد فرحاً لكن فرحنا في تناقص، لم يخطئ الشعراء فهم يعبرون عن تجاربهم و عن حياتهم ... يتناقص فرحنا يوماً بعد يوم؛ يتناقص كل شيء

بينما الحقيقة أنه يجب أن يزداد... تسير حياتنا بالاتجاه الخاطئ.

اتجاه حياتنا خاطئ و اتجاه طاقاتنا خاطئ مثل، على أحدنا أن يكون دائم الحذر و الترقب كما عليه الاحتفاظ بالمقياس واضحاً في فكره، فإذا تبين لك أنك تسير في الاتجاه الخاطئ فأنت المسؤول الوحيد .

عاد عابدان ذات مساء إلى كوخهما بعد أربعة أشهر من السفر، كان عليهما العودة فقد بدأ موسم الأمطار ويمكنهما الاستراحة في الكوخ كما يمكنهما حماية نفسيهما من المطر، و لكن عند وصولهما فوجئ الأصغر منهما بأن الرياح والأمطار قد دمرت نصف سقف الكوخ.

فقال « هذا كثير للغاية، تجعلك أمور كهذه تشك بوجود اللّه، الأغنياء مسكونون بالخطيئة و لهم قصورهم في المدن ولا تقوى الرياح و الأمطار على مساسها و ينهار كوخ الفقراء أمثالنا ممن يقضون الليل و النهار في الصلاة و العبادة، أشك بوجود اللّه، أحقيقية هذه الصلاة أم نحن مخطئون ؟ ربما تكون هناك حقيقة في الخطيئة لأن قصور الأغنياء آمنة و تنهار أكواخنا مع الأمطار. »

كان الشاب مملوءً بالغضب و التشاؤم فشعر بأن عبادته باطلة أما الشيخ فقد رفع يديه المبسوطتين إلى السماء و بدأت دموع الفرح تنهار من عينيه، دهش الشاب و سأل « ماذا تفعل ؟».

فقال الشيخ « أحمد الله، من يعلم ما الذي بمقدور الرياح فعله، يمكنها أن تهب أقوى و تدمر كوخنا بأكمله، لكنه يجب أن يضع أمامها بعض العوائق ليحفظ لنا نصف الكوخ فهو يخاف علينا نحن الفقراء فعلينا أن نحمده... لم تذهب صلاتنا سدى؛ صلاتنا مسموعة و إلا لأمكن أن تذهب الرياح بالكوخ بأكمله. »

نام كلا الرجلين في تلك الليلة لكن يمكنك تخيل ما كانا عليه... أمضى الشاب المملوء بالغضب ليلته مرعوباً و الكوابيس تجول حول فكره من مختلف الأنواع، كان قلقاً فالسماء مليئة بالغيوم و الكوخ بنصف سقف، من المؤكد أن الأمطار ستهطل غداً... و ما العمل ؟.

أما الآخر فقد نام بعمق من يمكنه أن ينام بكل هذا الأمان غير الذي يفيض وجوده بالشكر و الحمد ؟ استيقظ في الصباح ثم بدأ يرقص و يغني، وكان في أغنيته « إلهي لم أكن أعلم بوجود كل هذا الفرح في الكوخ المحطم، لو علمنا بهذا من قبل لما خشينا رياحك و أمطارك بل كنا سنحطم نصف

السقف الآخر... لم أنم بمثل هذا الفرح من قبل، فقد كان نصف الكوخ مكشوفاً فاستطعت رؤية النجوم و الغيوم التي تجمعت في سمائك... أما الآن و الأمطار توشك على الهطول سنتمكن من سماع موسيقى هطولها بشكل أفضل؛ سيكون المشهد أجمل... كم كنا حمقى فقد خسرنا العديد من مواسم الأمطار و نحن مختبئون داخل الكوخ، لم نعلم بالفرح الكائن تحت السماء و تحت الأمطار و الرياح... لو أدركنا ذلك من قبل لما خشينا أمطارك بل تخلصنا من نصف السقف الآخر. »

عند سماعه لهذا قال الشاب « ما الذي أسمعه ؟ أي هراء هذا و أي جنون ؟ »

فقال الشيخ « أنظر إلى الأمور بعمق، و تعلمت من تجاربي السابقة بأن ما يجعلني أكثر سعادة هو الاتجاه الصحيح في الحياة بالنسبة لي، أما ما يجعلني أكثر معاناة فهو الاتجاه غير الصحيح... أحمد الله لأن فرحي في تزايد... أما أنت فغضبت من اللهو غضبك في تزايد، كنت في الأمس مضطرباً أما أنا فنمت بسلام، الآن أستطيع الغناء و أنت ضجر بغضبك... فهمت مبكراً في حياتي بأن الاتجاه الذي يجعلني أكثر فرحاً هو الصحيح و على هذا وجهت كامل إدراكي... لا أعلم إذا كان الله موجوداً أم لا؛ لا أعلم إذا كانت صلواتي مسموعة أم لا،

لكن إثباتي هو فرحي و غنائي و حزنك و بكاؤك... يثبت فرحي بأن طريقتي في الحياة صحيحة، و يثبت غضبك بأن طريقتك خاطئة.

الخطوة الثالثة هي الحفاظ على اختبار دائم لتزايد فرحك وتعمقه، لا حاجة لسؤال أحد فقط استخدم المقياس كل يوم ولكل شيء... المقياس هو الفرح... كن كالصائغ عندما يختبر قطع الذهب بحكها بالحجارة عندما يريد أن يصنع عقداً، يضم النقية إلى عقده و يرمي المزيفة بعيداً... حافظ على اختبار مستمر و سيبدأ الفرح بالتجمع من تلقاء نفسه.

الحرية

التحرر من الـ « أنا »

يمكن لأعظم موسيقا في الحياة أن تنبعث من القلب المتوازن لكن مجتمعاتنا فقدت قلوبها في القرن الأخير تقريباً بإهمالها لوظائف تلك القلوب ففقدت معها كل معاني الحقيقة والجمال، و إذا أردنا عودة تلك المعاني الجميلة لحياتنا فلا بد من إعادة التوازن لأوتار قيثارة القلب... تحدثنا سابقاً عن بعض الخطوات و الطرق لإعادة هذا التوازن و سنتحدث الآن عن آخرها و أهمها.

الحب هو وسيلة استعادة توازن القلب و هو الطريقة التي تعيده إلى حالته الطبيعية التي تسمح بانبعاث الموسيقا... هذا ما دفع أوشو ليدعو الحب « صلاة » و ليدعوه أيضاً « الطريق لمعرفة الله. »

الله محبة و صلاة دون محبة لا معنى لها، الصلاة دون محبة كلمات جوفاء لا غير... لا يمكن للرحلة نحو الألوهية أن تحقق مبتغاها فالحب هو الذي يجعل قيثارة القلب تنشد، و لذلك علينا أن نتعلم بعض الأشياء عن الحب .

الشيء الأول و الوهم الأول هو اعتقادنا جميعاً بأننا نعرف الحب، و يدفعنا هذا الجهل لعدم بذل أية جهود للتعرف عليه، فمن الطبيعي ألا يبذل أحدنا أي جهد للتعرف على شيء يعرفه . لكننا لسنا مدركين بأن معرفة الحب تعني في الوقت نفسه امتلاك القدرة على معرفة الألوهية، فإذا عرفت الحب لن يتبقى في الحياة ما تجب عليك معرفته لكن طريقتنا في التعرف لم تعرفنا على شيء... نحن بحاجة للتعرف على كل شيء.

و بالتالي قد لا يكون الحب الذي ندعوه حباً حباً؛ قد نكون دعونا شيئاً ما حباً، و كيف لنا البحث عن الحب و الوصول إليه ما دمنا نعاني من هذا الوهم؛ كيف لنا الوصول إلى الحب و نحن معتقدون بأننا نعلم كل شيء عنه ؟ الشيء الأول الذي علينا أن نفهمه جيداً هو أننا لا نعلم شيئاً عن الحب .

في ظهيرة أحد الأيام الحارة توقف المسيح ليستريح تحت شجرة في حديقة، نام الرجل الذي أتعبه الحر في ظل الشجرة و لم يعلم لمن المنزل، لمن الحديقة و لمن الشجرة... كانت الحديقة للمجدلية و هي عاهرة غاية في الجمال.

نظرت المرأة من النافذة فرأت رجلاً ساحر الجمال ينام تحت شجرتها، لم تر بجمال هذا الإنسان من قبل -جمال في

الجسد و جمال في الروح... يمكن دائماً رؤية جمال الأجساد أما جمال الروح فتندر رؤيته و عندما يظهر يتحول حتى الجسد القبيح لجمال أجمل الورود... رأت المجدلية العديد من جميلي الأجساد فقد اعتادت على تجمع الرجال حشوداً على بابها، بل كان في الحقيقة يصعب دخول منزلها، ولكن وجدت نفسها هذه المرة تذهب إلى الشجرة كأن سحراً يشدها إليها.

كان المسيح قد أوشك على النهوض و المغادرة فقد أنهى استراحته، فقالت المجدلية « أيمكن أن تدخل و تستريح في الداخل ؟ ».

فأجاب « أنهيت استراحتي الآن و علي المغادرة... هو منزلك إذاً وحديقتك... إذا حدث و مررت متعباً من هنا ثانية سأدخل لأستريح في منزلك بدون شك. »

أمراء عظام يردون عن بابها و الآن تدعو متسولاً من الطريق فيرفض الدخول، جعل هذا المجدلية تشعر بالإهانة فقالت « لا، لا أفهم هذا... عليك الدخول... ألن تدخل باسم حبي و لأجله ؟ ألن تدخل و تستريح في منزلي للحظات ؟ »

فقال « دخلت و استرحت بشكل أو بآخر من مجرد دعوتك هذه، فإذا لم يكن شعورك القلبي هو منزلك فأين هو إذاً ؟ وإذا سألتني أأستطيع إظهار مثل هذا الحب؟ سأقول ربما قال

الكثيرون من قبل بأنهم يحبوك و لكن في الحقيقة لم يحبك أي منهم بل أحبوا شيئاً آخر، لكنني لا أستطيع أن أؤكد لك بأني أحد القلائل الذين يستطيعون حبك و لا يحبونك، لأنه لا يستطيع الحب إلا من أشرق الحب في قلبه. »

لا يمكن لأحدنا أن يحب لأننا لا نملك فيضاً من الحب في داخلنا، عندما نقول لأحدهم « أحبك » فنحن في الحقيقة لا نقدم له حباً بل نطلب منه الحب... يطلب جميعنا و يريد الحب فكيف يمكن لفاقد الشيء أن يعطيه ؟ كيف يمكن للشحاذ أن يصبح ملكاً ؟ كيف يمكن لإنسان يبحث عن الحب أن يتحول لمانح له ؟!

يطلب جميعنا الحب من جميعنا... وجودنا طالب متسول يسأل أحدهم أن يحبه، تطلب الزوجة من زوجها أن يحبها؛ يطلب الزوج من زوجته أن تحبه تطلب الأم المحبة من أبنائها و يطلب الأبناء من أمهم محبة... يطلب الأصدقاء من أصدقائهم محبة ثم في النهاية لا يحصل أحد على الحب، جميعنا يطلب الحب من جميعنا الآخر و لا ندرك أن هذا الآخر الذي نريد منه أن يحبنا يريد منا أن نحبه... إننا كشحاذين يقف كل منهما أمام الآخر و يسأل مسألة. لا يمكن لأحدنا أن يهب الحب ما دام يطلبه، والسبب في ذلك أنك عندما تطلب حباً فهذا معناه عدم وجود

نبع من الحب داخلك و إلا لم توجب عليك استجداؤه من الخارج؟ لا يستطيع أن يهب الحب إلا من تجاوز عقد استجدائه، فالحب مشاركة و ليس تسول؛ الحب ملك و ليس متسول... لغة الحب هي العطاء و لا يجيد سواها و ليست لديه فكرة عن الطلب و الأخذ.

أنعرف الحب ؟

طالب الولاية لا يولى و طالب الحب لا يحصل عليه و الحب الذي نحصل عليه بالعطية ليس حباً... قانون في الحياة أساسي، جوهري و أبدي: من يطلب الحب لا يحصل عليه.

يأتي الحب إلى باب المنزل الذي اختفت فيه جميع أشكال تسوله، تمطر السماء حباً على منزل من توقف عن طلب الحب و لا يمكن أن تهطل و لو قطرة منه على منزل من لا يزال على عادته التسولية... لا يتدفق الحب إلى القلب المستعطي لأنه لا يمتلك ذلك النوع من قابلية الاستقبال التي تسمح له بالدخول، تتوفر تلك القابلية فقط في القلب المحب للمشاركة؛ فقط في القلب المانح و عندها يأتي الحب إلى الباب و يقول « افتح ها أنا قد أتيت. »

أهو بحاجة ليطرق الباب ؟ لا طبعاً، فعندما ننتظره ليطرق الباب معناه أننا لا زلنا غير قادرين على منحه و تذكر: كل شيء تهبه يعود إليك، قانون أبدي آخر من قوانين الحياة... كل ما تهبه يعود إليك.

العالم بأسره ليس أكثر من رجع للصدى – فعل و رد فعل... نعطي كراهية فترتد الكراهية إلينا؛ نهب غضباً فيرتد

الغضب إلينا؛ نؤذي الآخرين فيرتد الأذى إلينا و نزرع أشواكاً فتعود الأشواك إلينا... كل ما نقدمه يعود إلينا بعدد لا يحصى من الطرق، و هكذا عندما نشارك بالحب يعود الحب إلينا بعدد لا يحصى من الطرق، أما إذا لم يعد الحب بعدد لا يحصى من الطرق فعلينا أن نتأكد لم نهب حباً من الأساس.

و لكن، كيف لنا أن نهب الحب ؟ ليس لدينا حب بالأساس لنهبه و إلا لم توجب علينا طرق الأبواب الواحد تلو الآخر طلباً له ؟ لم توجب علينا أن نستجديه من مكان لآخر ؟ لم توجب علينا أن نطلب الحب ؟

كان في إحدى القرى شيخ يدعى فريد، قال سكان القرية لفريد يوماً « الملك يحترمك و لا يرفض طلبك، فاسأله أن يفتح في قريتنا مدرسة. »

فقال فريد « لم يسبق لي و أن طلبت شيئاً من أحد، أنا رجل دين و لا أعرف سوى العطاء. »

دهش أهل القرية و قالوا لفريد « ا عتدنا على الاعتقاد بأن الشيوخ عادة ما يطلبون و تقول بأنهم لا يعرفون سوى لغة العطاء... لا نعرف هذه الأمور المعقدة و الغامضة و كل ما نريد أن تطلب من الملك افتتاح مدرسة في قريتنا. »

ألح سكان القرية على فريد بطلبهم لذلك توجه في أحد الأيام إلى المسجد حيث كان الملك يصلي، فوقف خلفه و انتظره حتى ينتهي من صلاته... بعد انتهائه من الصلاة رفع الملك يديه إلى السماء و قال باكياً « إلهي: زد في ثروتي؛ إلهي زد في ممتلكاتي؛ إلهي أعز ملكي. »

عند سماعه لهذا هم فريد بالمغادرة لكن الملك الذي أنهى دعاءه رآه ينصرف، تبعه و قال « فريد: لم أنت هنا؛ لم أتيت ؟ و لم أنت مغادر ؟ »

فقال الشيخ « اعتقدتك ملكاً لكني أراك شحاذاً، اعتقدت أنه بمقدوري أن أطلب منك افتتاح مدرسة لأهل بلدتي لكني وجدتك تطلب من الله زيادة ثروتك، فلا أجده من المعقول أن أطلب شيئاً من شحاذ... اعتقدتك ملكاً لكنني وجدتك شحاذاً، لذلك فأنا مغادر!!! »

جميعنا متسولون و نطلب من متسولين مثلنا ما ليس لديهم وعندما لا نحصل عليه نصاب بالحزن ثم نبكي و نشعر بأننا محرومون من الحب.

لا يمكن الحصول على الحب من الخارج؛ الحب معزوفة وجودك الداخلي و لا يمكن لأحد أن يعطيه لك، يشرق الحب في الداخل و محال أن نحصل عليه من الخارج.

الحب وردة تتفتح في الداخل؛ الحب وردة تتفتح من طاقة كامنة في الداخل و لا زلنا نبحث عنه في الخارج ، نبحث عن الحب في المحبوب و المحبوبة و يا لها من خطيئة.

ابحث عن الحب داخلك... لا نستطيع تخيل فكرة وجود الحب في الداخل لأننا ربطناه بفكرة المحبوب مما جعلنا نظنه شيئاً خارجياً، و لأننا لا نتذكر كيفية جعل الحب يشرق من داخلنا تبقى طاقته ثابتة و لسنا مدركين أننا نبحث في الخارج عما هو في الداخل، و بالتالي لا ننظر داخلنا فلا نجد الحب في أي مكان.

الحب هو الثروة الحقيقية المولودة مع كل فرد منا، لا يولد أحدنا ثرياً يكنز الذهب و الفضة فهذه تراكمات اجتماعية تأتي مع الوقت أما الحب فيولد فينا و معنا و نولد بصحبته لأنه حقنا منذ الولادة؛ لأنه ثروتنا الفردية، إنه بداخلنا؛ إنه شريكنا منذ الولادة و يصحبنا طيلة حياتنا لكن قلة نادرة منا هم المحظوظون بما فيه الكفاية لينظروا داخلهم ليروا أين يسكن الحب و كيف يمكن إيجاده و كيف يمكن تطويره.

لكننا نول و تبقى ثروتنا مدفونة لا نستطيع اكتشافها، ونمضي حياتنا مبسوطة أيدينا نتسول على أبواب الآخرين « نريد حباً » لا يوجد في العالم سوى رغبة واحدة « نريد الحب»

و لا توجد في العالم سوى شكوى واحدة « ينقصنا الحب » وعندما لا نحصل على الحب نتهم الآخرين بالخطأ و النقص... يتهم كل من الزوج و الزوجة مثلاً الآخر بالنقص و عدم الحب لأنه لا يحصل عليه و لم يتساءل أي منهما أيمكن حقاً الحصول على الحب من الخارج ؟

الحب ثروة داخلية؛ الحب معزوفة قيثارة القلب لكن قيثارة قلوبنا أصابها العطب فلا تصدر الموسيقا التي أعدت لإصدارها... كيف يمكن إصدار هذه الموسيقا ؟ و ما هي العوائق التي تقف في طريقها ؟ ما هي الحواجز تمنعها من الانبعاث ؟ هل فكرت في هذا يوماً ؟

مات ممثل و شاعر مشهور { القصة خيالية لكن الموضوع يستحق و هي مناسبة له } ... تجمع العديد لحضور مراسم حرق الجثة و من بينهم المخرج الذي كان الميت يعمل معه... أثناء المراسم ألقى المخرج كلمة تعزية ذكر فيها « أنا من جعل هذا الإنسان ممثلاً، أنا من رفعه من الظلمة إلى النجومية؛ أنا من منحه الخطأ الأولى في عالم السينما، أنا من نشر له الكتاب الأول و أنا سبب نجاحه العالمي.. » و بقي يكرر هذه الـ « أنا » حتى فوجئ بنهوض الجثة لتقول « عذراً أيها السيد، من الذي سيحرق بعد قليل ؟ أنا أم أنت ؟ عمن تتحدث ؟ » لم تستطع

الجثة تحمل هذا الضجيج لـ «أنا» فكيف للأحياء تحمل ما لم تتحمله الجثث ؟!!

صوتان اثنان في داخل الإنسان لا ثالث لهما... لا يوجد صوت للحب في الإنسان المملوء بصوت الـ «أنا» و لا وجود لهذا الأخير في الإنسان المملوء بصوت الحب أما اجتماعهما فمستحيل استحالة اجتماع الظلمة و النور.

ذهبت الظلمة مرة إلى الله و قالت « لا تكف الشمس عن مطاردتي، إنه تتسبب لي بالعديد من المتاعب، تلاحقني من الصباح حتى المساء و لا يأتي المساء حتى أكون متعبة للغاية، وفي الليل قبل أن أستيقظ و أنهي قيلولتي تبدأ بملاحقتي ثانية... لا أذكر أنني أخطأت مرة بحقها و لا أعتقد أنني تسببت بغضبها و لو مرة، فلماذا تلاحقني ؟ و لم علي أن أتحمل مضايقتها ؟

استدعى الله الشمس و سألها « لم تطاردين هذه الظلمة المسكينة ؟ تبحث باستمرار عن ملاجئ هنا و هناك لكنك لا تكفين عن ملاحقتها و مضايقتها في الساعات الأربع والعشرين... ماذا تريدين منها ؟

فقالت الشمس « من هي الظلمة ؟ لم أقابلها من قبل و لم أتعرف عليها، من هي الظلمة و ماذا تكون ؟ لا أعرفها و رغم

ذلك إذا كنت قد ارتكبت خطأً غير متعمد فأنا عل استعداد للاعتذار، و عندما أدرك خطأي فلن أكرره ثانية. »

كررتا هاتين المقولتين لآلاف المرات و السنين و لا زالت القضية معلقة في عهدة الله منتظراً مقدرته على جمعهما، و لكن كيف له عز و جل ذلك؟ لا يمكن.

هناك سبب لاستحالة اجتماعهما و هو أن الظلمة بحد ذاتها ليست شيئاً؛ لا تمتلك وجودها المستقل و إنما هي غياب للشمس، الظلمة غياب للنور ليس إلا... و لذلك كيف يمكن لغياب النور أن يظهر ؟ كيف يمكن تواجد الشيئين معاً ؟

و بنفس الطريقة لا يمكن اجتماع الحب و الغرور فالغرور كالظلمة غياب للحب و ليس حضوره... غاب الحب من داخلنا لذلك استمر الغرور بقرع طبوله و تحت وطأة ضجيجه المزعج نقول« «أنا» أريد أن أحب؛ «أنا» أريد أن أهب الحب » فهل جننا ؟ لا توجد أية علاقة بين هذه الـ«أنا» و بين الحب و تستمر بالحديث عنه -«أنا» أريد الصلاة؛ «أنا» أريد تحقيق الألوهية و «أنا» أريد الحرية... جنون بالفعل!!!

يشبه هذا قول الظلمة « أريد معانقة الشمس؛ أريد حب الشمس و أريد زيارتها في منزلها » هذا مستحيل.

«أنا» أو الغرور غياب للحب؛ الغرور هو النقص في الحب فكلما تابعنا تقوية قرع طبول الغرور تضاءلت إمكانية الحب في داخلنا... كلما كان الغرور موجوداً هرب الحب و عندما لا يوجد سوى الغرور يموت الحب بالكامل.

لا يمكن أن ينمو حب في داخلنا لأننا إذا تفحصنا أعماقنا سيطالعنا و لأربع و عشرين ساعة مستمرة قرع الطبول الغرورية... نتنفس بصحبة غرورنا؛ نشرب الماء بصحبة غرورنا ونذهب إلى المعبد برفقته، هل تبقى في حياتنا شيء سواه ؟

ملابسنا ملابس أنانا؛ وضعياتنا و مواضعنا مواضع أنانا؛ معارفنا معارف أنانا معارفنا الروحية و مساعدتنا لسوانا مساعدة أنانا كل شيء حتى عصاميتنا – بمعنى السانية – عصامية أنانا، ظهر شعور قوي في داخل غرورنا « أنا عصامي ولست رجل بيت، أنا لست إنساناً عادياً، أنا متعلم...، «أنا» هذا و «أنا» ذاك، في كل شيء «أنا».

لا يمكن للبيت الذي يبنى حول هذه الـ«أنا» أن يسمع بالحب وبالتالي لا يمكن للموسيقا التي تصل إلى أعمق أعماق القلب؛ لا يمكن للموسيقا التي يمكن أن تعرفنا بحقيقة الحياة أن تنشأ من قيثارة القلب... لن يفتح ذلك الباب أبداً بل سيبقى مغلقاً.

يجب أن ندرك بوضوح تام كيف نقوي غرورنا و يجب أن ندرك كيف نعمقه، علينا أن نلاحظ بجلاء فيما لو كنا نحن من يمده بالقوة؛ فيما لو كنا نحن من نجعله أعمق و أقوى كل يوم، إذا كان نعم فعلينا أن نيأس من إمكانية إشراق الحب في داخلنا و علينا أن نيأس من إمكانية أن تحل تلك العقدة للحب و أن يفتح باب خزنته... علينا أن ننسى الفكرة من أساسها... هذا غير ممكن.

و عليه لا تبدأ بالحب لأنك قادر على أن تقول «أنا» محب أو «أنا» أحب فالحب الصادر عن الغرور حب مزيف و عليه كل حبنا مزيف لأنه ناتج عن الغرور و تذكر: الحب الناتج عن الغرور أخطر من الكراهية لأن هذه الأخيرة واضحة، مباشرة و صريحة أما الحب الذي يأتي بوجه مستعار فيصعب تمييزه وملاحظته.

ستشعر بعد فترة من وقوعك في ذلك الحب الغروري أنك مقيد بسلاسل من حديد لا محضون بأيد تحب؛ ستدرك خلال مدة أن الأغاني الجميلة و الأحاديث الحلوة ما كانت إلا مصائد تغريك في البداية ففي ذلك سم كثير... إذا كان الحب القادم على هيئة ورود ظلاً للأنا و ناتجاً عنه فتأكد أنك عندما

تقترب منه و تلامس وروده ستجد في الداخل أشواكاً تخز يدك و تؤلمك.

يريد الغرور أن يصبح سيداً لذلك يوهم الآخرين أن في صنارته حب لذلك نلاحظ نهاية العديدين بألم و معاناة بسبب وهم الحب... تعاني كامل الإنسانية و كامل العالم من هذا الوهم لكننا لم ندرك بأن الحب الغروري مزيف و هذا هو سبب نشوء هذا الجحيم.

الحب الذي ينجذب إليه الأنا شكل من أشكال الغيرة لذلك ترى أن المحبين أكثر الناس غيرة و الحب الذي يشدك إلى الغرور خدعة و مؤامرة لامتلاك الآخرين لذلك تجد أن هؤلاء الذين يتحدثون عن الحب هم الأكثر تضييقاً للخناق على من يحبون و كل هذا بسبب «الح» الناتج عن الغرور... لا علاقة للحب بالغرور.

اعتاد جلال الدين على ترديد أغنية جميلة للغاية، كان يغنيها كل ما انتقل من قرية إلى قرية و عندما يطلب الناس أن يحدثهم عن الله كان يغنيها و مما يأتي فيها ذهب حبيب إلى بيت حبيبته و طرق الباب فسألت « من أنت ؟ ».

فيقول « هذا أنا حبيبك » و عندها يسود الصمت في الداخل ولا يأتي أي جواب، تختفي جميع الأصوات في الداخل... يطرق

الحبيب ثانية و أقوى هذه المرة و لكن يبدو كأن البيت مهجور، ثم يبدأ بالصراخ « ما هذا الصمت في الداخل أجيبي... أنا حبيبك... لقد أتيت » و لكن كلما صرخ أعلى« لقد أتيت... أنا حبيبك » يزداد البيت صمتاً حتى بدا كالمقبرة فلا توجد أجوبة من الداخل.

ثم يبدأ يضرب رأسه بالباب و يصرخ « أجيبي مرة على الأقل. »

جاء صوت واحد من الداخل « هذا المنزل لا يتسع لاثنين، تقول «أنا» أتيت، «أنا» حبيبك لكني هنا قبلك و لا يوجد مكان لاثنين في الداخل، لا يفتح باب الحب إلا لهؤلاء الذين تحرروا من غرورهم... اذهب الآن وعد بعد فترة . »

غادر المحب، مارس الصلاة و التأمل لأعوام... أقمار مرت، أشرقت الشمس و غربت مرات عديدة، و هكذا مرت تلك الأعوام فعاد الحبيب إلى الباب و عندما طرقه سمع السؤال نفسه « من أنت » فقال « لا يوجد «أنا» بل «أنت» فقط. »

يقول جلال الدين في أغنيته أن الباب فتح عندها .

و لكن، ألا ترى معي أن جلال الدين قد تسرع في فتح باب الحب؟

عندما يقول أحدهم « هناك أنت فقط » فلا زال يعتبر نفسه كـ«أنا» فقط من لا يعرف الـ«أنت» لا يعتبر نفسه كـ«أنا».

إذا كان من الخطأ أن نقول « لا يوجد في الحب اثنين » فخطأ أيضاً قولنا « لا يوجد في الحب إلا واحد » لا يوجد في الحب لا واحد و لا اثنين، فإذا كانت فكرة الواحد موجودة فاعلم تماماً بأن الآخر موجود لأن الآخر وحده من يستطيع إدراك الواحد ... فحيث يوجد «أنت» يوجد «أنا»

لذا فعلى هذا المحب أن يذهب ثانية فقد قال « لا يوجد «أنا» يوجد «أنت» فقط » لكن من قال هذا لم يأت بجديد سوى أن تعلم خدعة فقد كان جوابه في المرة الأولى «أنا» و لم يفتح الباب و بعد عدة سنوات من التعلم جاء ليقول « لست «أنا» فقط «أنت»».

و لكن من الذي قال هذا ؟ و لم قاله ؟ من يعرف «أنت» يعرف «أنا».

تذكر بأن «أنت» ظل للـ«أنا» و عندما يختفي هذا الأخير عند أحدنا يختفي سابقه معه.

لذلك فعلى المحب المغادرة فقد قالت المحبوبة « لا يوجد مكان لاثنين » الأمر الذي لم يحققه الرجل و بالتالي سيبدأ بالصراخ «أين هو الثاني ؟ لا يوجد «أنا» يوجد «أنت» فقط !! »

تطلب المحبوبة هنا من المحب المغادرة لأنه لم يتعلم سوى المخادعة فلا زال يرى شخصين و قد قال ما دام هناك شخصان

فعلى الحبيب ألا يحاول فتح الباب... عليه عدم المحاولة لأنه وعندما سيزول الاثنان سيفتح الباب لوحده و لا حاجة لمن يطرق و لا حاجة لمن يفتح.

غادر المحبوب فغاب أعواماً و لم يعد فذهبت المحبوبة للبحث عنه.

في اليوم الذي يختفي فيه ظل أنانا؛ في اليوم الذي يتلاشى فيه الأنا و الأنت لن نعود بحاجة للبحث عن الألوهية بل ستأتي هي للبحث عنا.

لا يمكن لإنسان أن يبحث عن الألوهية لأنه لا يمتلك المقدرة الكافية لبحث كهذا، ولكن عندما يصبح أحدنا مستعداً للتلاشي؛ عندما يصبح أحدنا مستعداً ليصبح عدماً و عندما يصبح أحدنا مستعداً ليصبح فراغاً من المؤكد أن الألوهية ستعثر عليه... يمكن للألوهية البحث عن الإنسان و إيجاده أما هو فلا يستطيع لأنه و في حالة البحث أيضاً سيكون الغرور موجوداً... «أنا» سائل و مريد؛ يجب أن «أحقق» الثروة؛ «حصلت» على مقعد برلماني؛ «بنيت» منزلاً كبيراً و الآن الهدف النهائي: «علي» أيضاً تحقيق الألوهية فهل يمكن إغفال شرف كهذا! سيكون نصري الأعظم و علي تحقيقه، وفي هذا إعلان صريح و مباشر و واضح للبحث عن الغرور.

لذلك فالإنسان المتدين هو من يشرع في رحلة البحث عن غروره و ليس من يشرع برحلة البحث عن الألوهية، و كلما تعمق في بحثه و استمر به سيزداد استنتاجاً بأن غروره غير موجود على الإطلاق، و في اليوم الذي يختفي فيه هذا الغرور يفتح فيه الباب الذي يختفي خلفه الحب.

الشيء الأخير هو: تابع البحث عن غرورك و لا تحاول البحث عن الروح لأنك لا تعلم عنها شيئاً... ولا تحاول البحث عن الألوهية لأنك لا تعلم أدنى شيء عنها، وكيف لك البحث عن شيء لا تعلم عنه شيئاً؟ أين ستجد إنساناً لا يعلم عنوانه ؟ سيصبح عندها مجنوناً بكل تأكيد ولن تعلم أين يجب أن تذهب.

لكننا نعلم شيئاً واحداً: نعلم هذا الـ« أنا » لذلك علينا أن نبحث عنه في البداية لنعلم ما هو؟ وأين يوجد؟ ومن هو؟ وسندهش بنتيجة بحثنا بأنه غير موجود؛ بأنه وهم محض؛ بأنك تتخيل وجوده.... إنه وهم عملت على تفوقه وتعميقه.

عندما يولد الأطفال نعطي كلاً منهم اسماً كإشارة مرفقة ومنعاً لحدوث الالتباس، ونسمي هذا محمداً وذاك عمراً وتلك مريم... في الحقيقة لا يمتلك أحداً اسمه، وجميع تلك الأسماء إشارات مرافقة ولكن مع كثرة الاستماع والترديد المستمر

يتكون لدى هذا الإنسان وهم بأن هذا الشيء هو اسم له... أنا محمد، أنا عمر، وإذا حدث وتحدثت بسوء عن عمر ستجده مستعداً لصراعك ويعتبرك قد أهنته... ولكن من أين له هذا الاسم ؟

لم يولد أي منا يحمل اسماً بل ولدنا جميعاً دون أسماء، ولكن الاسم دلالة اجتماعية ويصعب أنشاء أية بطاقة أو علامة مميزة دونه لذلك نأخذ أسماءً، وعندما يصبح لك اسماً يستطيع الأخرون تميزك... إنها وظيفة اجتماعية إذاً، و الآن إذا استخدمنا الأسماء لتمييز أنفسنا سنواجه اختلافاً صغيراً، أنستدعي أنفسنا أم نستدعي أخرين ؟ ولتجنب هذه المشكلة تم اختراع الأنا.

الـ« أنا» هو عنوان أستخدمه لأخاطب نفسي و«الاسم »عنوان أستخدمه لمخاطبة الآخرين بالتالي فكلاهما عنوان تجميلي للاستعمال الاجتماعي، وحول هاذين العنوانين بنينا منزل حياتنا وهما في الحقيقة ليسا أكثر من كلمات جوفاء لا حقيقة فيهما ولا جوهر... "هناك "أسماء " فقط؛ فقط عناوين.

وقع خطأ مماثل ذات مرة... تاهت طفلة صغيرة تدعى أليس أثناء سيرها فوصلت إلى أرض غريبة، بلاد العجائب، وعند

وصولها إلى هناك سألتها الملكة: «هل قابلت أحداً في طريقك إلى هنا يا أليس؟ » فأجابت : « قابلت لا أحد.»

اعتقدت الملكة أن الفتاة قابلت شخصاً يدعى " لا أحد "، بدأ هذا الخطأ بالتفاقم عند وصول رسول الملكة الذي سألته أيضاً: « هل قابلت أحداً في طريق قدومك ؟ » فأجاب أيضاً بأنه قابل لا أحد.

دهشت الملكة و اعتقدت أن " لا أحد " قد قابل كلاً من الطفلة والرسول فقالت لهذا الأخير : " يبدو أن "لا أحد" أبطأ منك سيراً. "

هناك معنيان ممكنان لكلام الملكة: أولهما بأنه لا يوجد من هو أبطأ من الرسول، لذلك شعر بالخوف لأن الرسول عليه أن يكون سريعاً ، فقال » لا! »

فقالت الملكة: «هذا صعب. تقول بأن لا أحد أسرع منك ولكن لو كان أسرع منك لوجب أن يكون هنا الآن، لوجب أن يكون قد وصل قبلك .»

أدرك الرسول المسكين أن سوء فهم قد وقع وقال:«لا أحد هو لا أحد !»

فقالت الملكة: « أعلم أن لا أحد هو لا أحد ولكن من هو؟ يجب أن يكون هنا الآن... أين هو؟ »

واجه الإنسان سوء فهم مماثل من خلال استخدام اللغة، فجميع أسمائنا هي " لا أحد " ولا يوجد أي معنى لأي اسم أكثر من ذلك، كل فكرة « أنا » هي لا أحد لا غير، ولكن نشأ وهم بسبب سوء فهم اللغات مفاده بأنه للأنا معنى... أنا فلان.

يموت الإنسان ولكن يترك اسمه منقوشاً على الحجارة أملاً منه بالخلود لكنه لا يعلم بأن كل رمال الشواطىء كانت يوماً ما حجارة.

ولذلك وفي قصة هذا العالم الطويلة سواء أكتبت اسمك على الرمل أم على الحجارة لا اختلاف... يكتب الأطفال أسماءهم على رمل الشاطىء أملاً منهم بمرور أحدهم ليقرأها في الغد لكن الأمواج ستأتي لتمحو كل شيء، يسخر الكبار من هذه الفكرة ويقولون : "«يا للسذاجة، أي معنى لكتابة الأسماء على رمل الشاطىء! ».

لكن هؤلاء الكبار يكتبون أسماءهم على الحجارة ولا يعلمون بأن الرمال كانت حجارة... بالنسبة للحماقة لا فرق بين الكبار وبين الصغار ولكن للصغار براءتهم.

تقول إحدى القصص بأن هناك مرتبة روحية مرموقة ونادرة التحقيق يصبح من يبلغها سيداً للأرض بأكملها ويسمح له بكتابة اسمه على جبل أبدي ضخم في الجنة.

حدث وحصل أحد الملوك على هذه الدرجة، فشعر بالسعادة فيمكنه الآن الذهاب إلى الجنة وكتابة اسمه على جبل أبدي...
وصل الملك إلى مدخل الجنة برفقة موكب ملكي فقال له الحارس: « لقد وصلت و يمكنك الدخول أما هؤلاء فعليهم العودة من حيث أتوا، هل أحضرت الوسائل التي تحتاجها لنقش الاسم على الجبل؟ » فقال الملك : « نعم. »
فقال الحارس: « الجبل كبير جداً وأبدي، لكن لن تجد مساحة فارغة لكتابة اسمك عليها، عليك أن تمحو اسم أحدهم لتكتب اسمك... لقد سبقك الكثيرون ولم يتبقى على الجبل متسع. »
دخل الملك عبر المدخل ثم وصل إلى الجبل، كان الجبل ضخماً حتى أن العديد من جبال الهمالايا لا تساوي ارتفاع حافته الصغرى، ومع ذلك لم يجد متسعاً لكتابة اسمه، ففكر أمام الأزلية ورغم ندرة الواصلين من الأرض فقد امتلأ الجبل بالأسماء، شعر الملك بالحزن لكن الحارس قال « لا تحزن، كان والدي و والده و والده حراساً و لأجيال عدة توجب على القادمين لكتابة أسمائهم محو أسماء سبقتهم ليجدوا متسعاً لهم. »

استدار الملك وقال « إذا كان أحدنا لا يستطيع الكتابة إلا بعد أن يمحو اسم أحدهم فمن الجنون أن نفعل ذلك، إذا أنا كتبت اليوم اسمي و ذهبت فسيأتي آخر في الغد ليمحوه و يكتب اسمه مكانه، لما كان هذا الجبل بهذه الضخامة و عليه كل هذه الأسماء فمن سيقرؤها ؟ و ما المعنى من ذلك ؟ اعذرني لن أرتكب حماقة كهذه. »

لكن قلة هي التي تتمتع بحنكة كهذه أما البقية فتنقش أسماءها على الحجارة و على المعابد و منهم من ينشئ لنفسه نصباً تذكارياً ينقش عليه اسمه و ينسى أنه ولد دونه، من جهة أولى ستندثر الحجارة و تصبح رملاً و من جهة ثانية سيضيع الجهد لأنه عندما يودع أحدنا يودع دون اسم... لا، ليست لنا أسماء بذاتنا.

« الاسم » وهم يراه العالم الخارجي، أما الـ«أنا» فوهم نراه نحن في الداخل، «أنا» و «الاسم» وجهان لعملة واحدة أحدهما مرئي من الخارج و الآخر مرئي من الداخل و ما دام هذان المهمان موجودين لا يمكن أن يجد الحب متسعاً ليشرق فينا .

و ختاماً نقول« ابحث أعمق قليلاً، اذهب إلى ذلك الجبل في الجنة و انظر كم من الأسماء نقشت و محيت، فهل تريد أن تمحو اسماً و تنقش اسمك مكانه ؟ اقترب من الجبل و انظر

كيف يتحولون إلى رمل، انظر إلى الأطفال كيف يكتبون أسماءهم على رمل الشاطئ، و انظر ماذا نفعل، أنفقد حياتنا بكتابة أسمائنا على الرمل ؟ فإذا شعرت بأنها حقيقة فابحث أعمق قليلاً و ادخل داخلك، ادخل إلى هذا الـ«أنا» و ستعلم يوماً بأنه لا أحد؛ لا أحد هناك، هناك صمت و سلام في الأعماق أما «أنا» فلا... في اليوم الذي تتحقق فيه من عدم وجود هذا الأنا في الداخل ستتعرف على الكلية و تتعرف على الوجود... ستتعرف على الألوهية.

الحب باب للألوهية و الغرور باب للجهل؛ الحب باب للنور والغرور باب للظلمة فابدأ رحلة البحث عن الحب من هذا المنطلق و لكن تذكر : ستبدأ بالبحث بدءاً من الغرور لتنتهي بتحقيق الحب، حاول أن تعرف أموجود حقاً هذا الظل للأنا ؟ أموجود حقاً هذا الأنا... إن من يبدأ رحلته بهذا الاتجاه سيجد بالتأكيد أنه غير موجود، ليس ذلك فقط بل سيجد نفسه قد حقق الألوهية، لا يمكن للمقيد بأوتاد الغرور أن يبدأ رحلته إلى محيط الألوهية.

الـ«أنا» أول شيء في حياتنا و آخر شيء، يختبر المقيد بالغرور الألم و يتحقق الفرح الغامر بعد التحرر منه... لا توجد قصة ولا

حكاية سوى «أنا»، لا يوجد حلم سوى «أنا» و لا توجد كذبة سوى «أنا».

تعرف على هذا الأنا و سيفتح باب السعادة إذا أزيلت صخرة الأنا سيبدأ ينبوع الحب بالتدفق ليملأ موسيقا قلبك و عندما يمتلئ قلبك بالحب تبدأ رحلة جديدة يصعب وصفها بالكلمات... تلك هي الرحلة التي تحملك إلى مركز الحياة لتصبح ملكاً و تكف عن كونك شحاذاً.

الفهرس